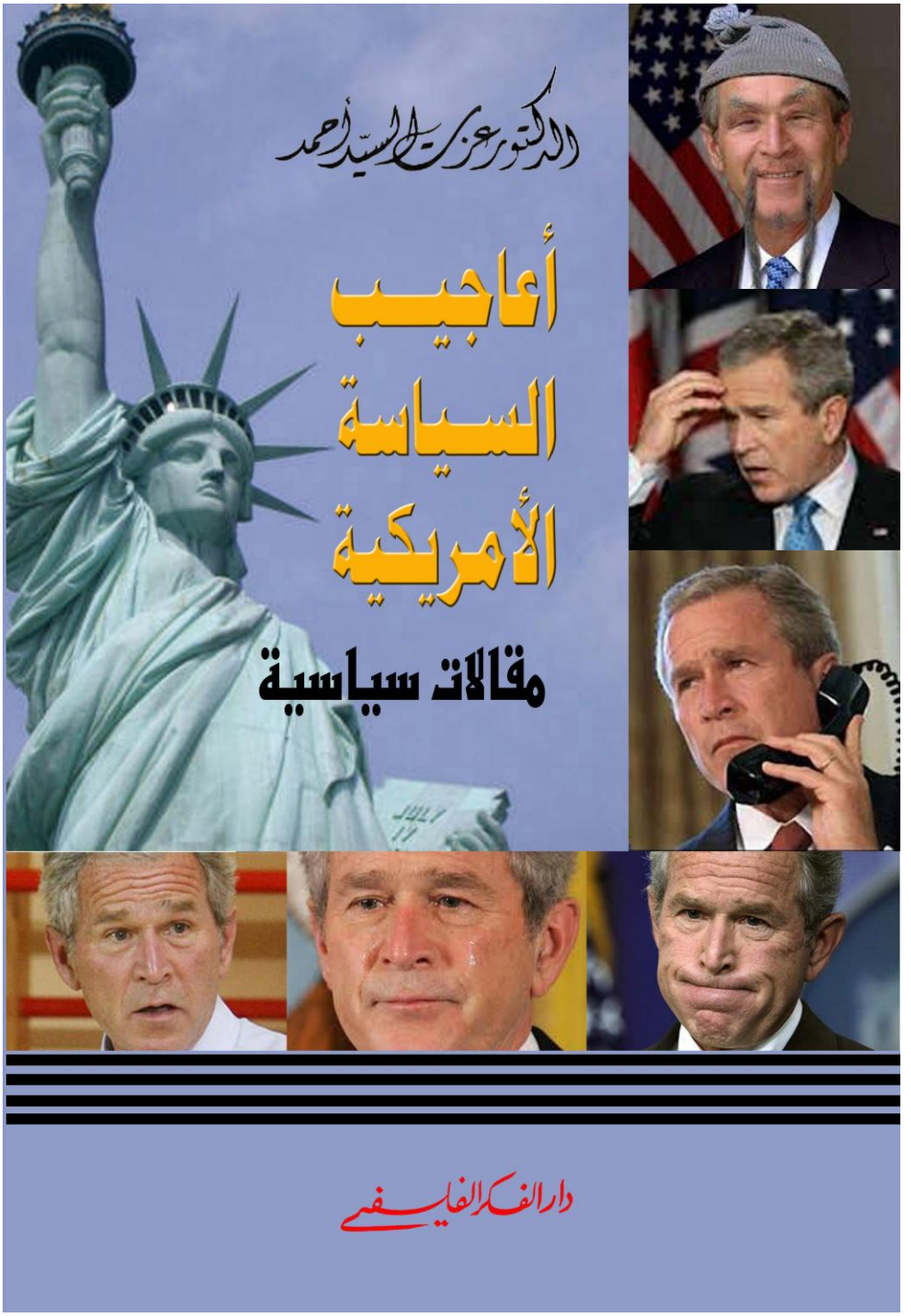
الدكتور عزت السيد أحمد
أعاجيب السياسة الأمريكية
مقالات سياسية
دار الفكر الفلسفي

الدكتور عزت السيد أحمد

أعاجيب السياسة الأمريكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

أعاجيب السياسة الأمريكية

مقالات سياسية

دار الفكر الفلسفي

دمشق 2008م

دار الفكر الفلسفي

☆ الكتاب : **أعاجيب السياسية الأمريكية.**
مقالات سياسية.

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد** .

☆ عدد الصفحات: ١٨٠ صفحة.
☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.
☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.
☆ الطبعة الأولى: **٢٠٠٨م**.
☆ تمت عمليات التنضيد والإخراج في دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.
☆ تمت الطباعة في دار الرفاعي بدمشق ومنها يطلب الكتاب على رقم الهاتف أو الفاكس التالي: ٠١١٢٢٢٥٩٥٩

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**
تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من النَّاشر أو المؤلِّف.

☆ النَّاشر: **دار الفكر الفلسفي.**

الإهداء

أبحث عن عقلاء العرب

أهدي إليهم كتابي

مُقَدِّمَة

غرائب السياسة الأمريكية بالتأكيد لا تنتهي. نحن لا نكشف سراً ولا نكتشف ما لم يسبقنا إليه أحد. طالما أنَّ المقدمات هي ذاتها فإنَّها النَّتائج هي ذاتها. مقدِّمات السِّياسة الأمريكيَّة هي العقليَّة الأمريكيَّة، والعقلية الأمريكيَّة هٰذه هي. إذن غرائب وعجائب السياسة الأمريكية نبعٌ سيظلُّ يفيض علينا بِمُدْهشاته. هٰذه العقلية ليست وليدة اليوم إنَّهَا متأصِّلة في الطَّبع الأمريكي، أعني السِّياسة الأمريكية فالشعب الأمريكي له شأنه.

ومن ثمَّ فإننا في هٰذه الكتاب لن نضيف شيئاً، لن نوغل في التحليل والدراسة، سنتحدث عن هٰذه الأعاجيب من باب التوثيق بالدرجة الأولى. لا نزعم أن الإمبراطوريات الأخرى لا تمارس ما تمارسه الولايات المتحدة

الأمريكية... ولكننا لا نستطيع إنكار أن الولايات المتحدة الأمريكية لاستثناء في الكذب والتضليل الذي يجعل سياستها مدرسة في العجائبية الغرائبية التي تكاد لا تصدق.

المشاهد التي سنتحدث عنها ليست أسراراً على أي حال، كل الذين عاصروا هٰذه المرحلة شاهدوها وتابعوها من مصادر متعددة ومختلفة. إنها حوادث أو أخبار نحسب أنَّها عصيَّة على النسيان إمَّا لثقةٍ في الذاكرة قد تكون صحيحة أو غادرة، أو لأنَّ الحدث أو الخبر على درجةٍ من القوَّة توحي بأنَّ الأمر لا يمكن أن يغادر الذَّاكرة حَتَّىٰ ولو أرادت الذاكرة أن تمحوه بأيِّ سبيلٍ من السُّبل.

عندما كنت أتابع الاستعداد للحرب على العراق، ثُمَّ الحرب على العراق وضعت بضع مسودات لمقالات تعليقيَّة على المضحك المبكي في السِّياسة الأمريكيَّة، ولم تكن فكرة الكتاب قد ولدت، وإنَّما الذي كان موجوداً في المخيلة هو تتبع السياسة الأمريكيَّة في مقالات ستجد محوراً يجمعها في كتاب... في تلك الأثناء مرَّت تعليقاتٌ وأحداثٌ كانت أقوى من النِّسيان، وضعت رؤوس أقلام لها ووثقت في أنِّي لا يمكن أن أنسى توثيقها ولا تفاصيلها، وتراخيتُ في كتابتها فلم يبق منها في الذَّاكرة، بعد الحديث، سوى أطيافٍ باهتةٍ، ولكنَّها مهمة وخطيرةٌ لا يجوز تجاهلها.

ولأنَّ ما كان كان وقائع عامَّة علنيَّة ليست سريَّة فمن المؤكَّد أنَّ كثيرين قد سمعوا بها ويمكن أن يكون قد سجَّلها كثيرون أيضاً. ولا شكَّ في أنَّها كلها موثقة ويمكن إيجادها بسهولة بفضل تقانات الثورة الإلكترونية وتطبيقاتها المعلوماتية. أي

موضوع من موضوعات هٰذا الكتاب لا يحتاج إلى كثير جهدٍ للتحقق من صحته، يكفي أن تضع بضع كلمات مفتاحية في أي محرك بحث على الشابكة ليقودك إلى الحادثة وتاريخها وتفاصيلها.

على أنَّ ما يجدر ذكره هنا، وقد تمت الإشارة إلى مثل ذٰلكَ في غير موضع من هٰذا الكتاب، هو أنَّنا لم نستطيع حصر كل الحالات ولا كل الشواهد أو الحوادث، وهو أمر صعب في حقيقة الأمر ويحتاج إلى فريق بحث، ناهيكم عن أننا لم نهدف إلى إحصاء كل الحوادث، وإنما هدفنا الحديث عن حالات، عن أنماط سلوك السياسة الأمريكيَّة، مكتفين بشاهدٍ أو اثنين أو أكثر تبعاً للحالة.

الفكرة الأساسية التي أردت تسليط الضوء عليها في هٰذا الكتاب هي ما كانت عنوانه: أعاجيب السياسة الأمريكية. الأعاجيب ليست من باب ما يعجب وإنَّما من باب الأعجوبة المفارقة للمنطق والواقع، أعاجيب السياسة الأمريكية التي توحي بأنَّ أمريكا تتخيل أنَّها تمارس السِّحر الذي يأتي بالعجائب، في حين أنَّها مفضوحة مكشوفة، ومع ذٰلكَ تريد منا أن نصدق بأنها تأتي بالعجائب!!!

تخيلوا طفلاً رأى ساحراً يخرج الكرة من فمه، وأراد أن يقلده فحمل الكرة وقال لنا أغمضوا أعينكم، ثمَّ قال افتحوا أعينكم. ليرينا الكرة أمام فمه، ويقول لنا إنَّهُ أخرجها من فمه. هٰذه هي حال أمريكا تماماً وهي ترينا عجائبها وتريد أن نصدق أنَّها تأتي بالعجائب، وهي تقوم بذٰلكَ فعلاً، تأتي بالعجائب.

لن نطيل في التقديم، ولٰكن ما لا بُدَّ أن نختم به أن مقالات هٰذا الكتاب حلقة نمن سلسلة مقالات وأبحاث أخرى في السياسة الأمريكية والغربية منها ما صدر منذ سنوات مثل: الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم، انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، انهيار مزاعم العولمة، كيف ستواجه أمريكا العالم؟. ومنها ما صدر في هٰذه الفترة مثل: بشرية عمياء عرجاء، تفجيرات أيلول وصراع الحضارات، لبنان والمشروع الأمريكي، لبنان بين حربين. ومنها ما هو قيد الصدور: مثل عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية، العرب جثة تنهشها الكلاب.

١ اعتراف الضحية بأنه الجاني

شهدت أدبيات التَّحقيق عَبْرَ التاريخ أنواعاً من الضغوط والتَّهديدات على المتهم للاعتراف بجريمةٍ قد يكون ارتكبها هو وقد يكون غيره، ولٰكنَّ الحقيقة غيرُ واضحةٍ، والمتهم الحقيقي غير معروفٍ، ولأنَّهُ غير معروف اكتشفتْ أنواع من هٰذه الضغوط على من تمَّ الاشتباه بهم من أجل اكتشاف الجاني ومعاقبته وتبرئة من تمَّ اتهامهم في أثناء التحقيق عن طريق الخطأ أو الشُّبهة أو غير ذٰلكَ...

الولايات المتحدة خَرَقَتْ كلَّ الأعراف والقوانين والتقاليد وتجاوزت كلَّ أنواع الضُّغوط والمطالب والممارسات في حقِّ البريء الذي تعرف أَنَّهُ بريء ويعرف وأَنَّهُ بريء وكل الحقائق والوقائع تشهد أَنَّهُ بريء.

هٰذا ما حدث مع العراق أنموذجاً، أي ليس الحالة الوحيدة لهذه الممارسة. ففي حين أنَّ كلَّ تقارير وكالة الطاقة الذرية الدوليَّة تؤكِّد خلو العراق من أسلحة الدَّمار الشَّامل، وفي حين تعلم الولايات المتحدة الأمريكية أنَّ العراق ليس فيه

أسلحة شبه ثقيلة وليس أسلحة دمار شامل وحسب. وفي حين أنَّ كل الحقائق والوقائع تشير إلى أنَّ العراق ليس فيه أيُّ نوعٍ من أسلحة الدَّمار الشَّامل ولا الأسلحة القصيرة المدى التي يمكن أن تطال أي دولة مجاورة بأيِّ تهديدٍ... في ظلِّ كلِّ ذَلكَ خرج علينا بعض المسؤولين الأمريكيين بضغوط مختلفة على العراق ومطالب عجيبةٍ تقول: «يجب أن يعترف العراق بامتلاك أسلحة الدَّمار الشامل»، ولم تكتفي التَّصريحات بهٰذا وحسب، بل تضيف دائماً: «يجب أن يعترف العراق بامتلاك أسلحة الدَّمار الشامل حَتَّى نضربه ونطيح بالنظام الحاكم».

لاحظوا الطَّرافة والغرابة في هٰذا التَّصريح، إنَّهُ يعني على نحوٍ مباشرٍ: على العراق، على النِّظام العراقي أن يعترف بما يسمح لنا أن ندمره ونقضي عليه. والأكثر طرافة من ذَلكَ أن هٰذه التصريحات الأمريكية غالباً ما كانت تقترن أو يضاف إليه بأن أمريكا ستطيح بالنِّظام العراقي حَتَّىْ ولو لم يعترف. فصار الطلب كاملاً: على العراق أن يعترف بامتلاك أسلحة الدمار الشامل على الرَّغْمِ من أَنَّهُ لا يمتلك شيئاً منها، حَتَّىْ نستطيع أن نضربه، وإن لم يعترف بذَلكَ فإننا سنضربه أيضاً ونطيح به!!

٢ أغرب الرجاءات في التاريخ

علمنا قبل الاحتلال الأمريكي للعراق، وتأكَّد لنا ذَلكَ يقيننا بعد الاحتلال بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذت قرار احتلال العراق منذ عام ١٩٩٦م على الأقل، وأنها منذ ذَلكَ الحين بدأت الاستعداد والتَّخطيط لهٰذا الأمر منذ ذَلكَ الحين. ومن ثمَّ بداية لا يمكن ربط احتلال العرق وتدميره المحتمل بأي طريقة من الربط بأحداث الحادي عشر من أيلول كما صارت توحي بعض التصريحات الأمريكية قبل أشهر من العدوان الاحتلالي، خلاف ما صرح به المسؤولون الأمريكيون عقب أحداث الحادي عشر من أيلول من أنَّهُ لا علاقة للعراق بأحداث الحادي عشر من أيلول.

هٰذه حقيقةٌ وحقٌ. حقيقةٌ لم تعد مثار نقاش أو جدل، وحقٌ للولايات المتحدة أن تخطط من أجل تحقيق مصالحها وضمانها ولو على حساب

الآخرين[1]، وقد شهد التَّاريخ وسيشهد سياسات الأمم والشعوب التي تخطِّط وتعمل من أجل تحقيق مصالحها وضمانها مهما كانت النَّتائج كارثيَّةً على شعوبٍ أخرى بريئةٍ أو مدانةٍ، عظيمةٍ أو وضيعةٍ.

ولكنَّ ما لا يخطر في البال بحالٍ من الأحوال أن تطلب الولايات المتحدة الأمريكية من العراق أن يرجو العالم أن يسمح للولايات المتحدة الأمريكيَّة أن تضرب العراق وتطيح به!!

عندما اشتدت المعارضة العالمية على الولايات المتحدة في مشروعها لشن حَرْبٍ على العراق والإطاحة بالنظام الحاكم هناك، وعندما بدا للولايات المتحدة الأمريكية أنَّ هٰذه المعارضة في طريقها إلى عدم الحصول على موافقة الأمم المتحدة على شنِّ الحرب على العراق راح المسؤولون الأمريكيون يخاطبون العراق؛ النِّظام العراقي، أن يرجو الولايات المتحدة أن تضربه وتطيح به، بل وَصَلَ الأمر في مفارقة كلِّ منطقٍ إلى حدِّ الطَّلب من العراق أن يطلب من العالم أن يرجو الولايات المتحدة أن يضرب العراق.

«اطلبوا من العالم أن يسمح لنا بضربكم»، هٰذه هي الصِّيغة التي تكرَّرت غير مرَّةٍ على أكثر من لسانٍ من ألسنة المسؤولين الأمريكيين قبل الحرب العدوانيَّة على العراق، وكانت صيغتها في بعض الأحيان تصل إلى حدِّ الطلب من العراقين أن يطلبوا من العالم أن يرجو الولايات المتحدة ويتوسل إليها أن تضرب العراق وتطيح به.

---

(١) . هٰذه مسألة قد تثير بعض التساؤلات وعلامات الاستفهام وربَّما الاستغراب، وقد ناقشنا مثل هٰذه المسألة بتوسع في كتاب انهيار أسطورة السلام الصادر بدمشق عام ١٩٩٤م، كما ناقشناها في عدد من المقالات والتعليقات في أماكن مختلفة.

هل هناك أغرب من هٰذا الرَّجاء في تاريخ البشريَّة؟

الجاني يفرض على الضَّحية أن يرجوه أن يضربه، وأن تطلب من الآخرين أن يرجو الجاني أن يعتدي على الضَّحيَّة!!

الولايات المتَّحدة التي هي الجاني تفرض على الضَّحيَّة التي هي العراق أن يرجو الولايات المتَّحدة أن تضرب العراق وتدمِّره وتطيح به. وليس هٰذا وحسب بل إنَّها تريد من العراق أن يرجو العالم أن يرجو أمريكا أن تضربه!!

هل هناك أغرب من هٰذا الرَّجاء في تاريخ البشرية؟!

٣ أغرب احتلال في التاريخ

عرف التاريخ، وعرفت الشعوب كلها عبر التاريخ أنواع من الاحتلال عجيبة غريبة ورحيمة شفيقة رقيقة ويمكن أن تعدوا ما استطعتم من الأسماء والأشكال... ولٰكنَّ أن تجدوا احتلالاً أغرب من الاحتلال الأمريكي فهٰذا شبه مستحيل. وقفنا عند مشاهد متنوعة من هٰذه الغرابة، وهنا نقف عند مشهد آخر.

الولايات المتحدة الأمريكية احتلت العراق، صحيح. وفي كل أعراف الدنيا عبر التاريخ أن المحتل هو القوي، هو الذي يحمي... أما أمريكا فإنها على قوتها وعظمتها وجبروتها تدعو دول الجوار إلى حماية الاحتلال الأمريكي.

نحن نتفهم إلزام الشعوب بالخدمة في الجيش الذي يحتل بلدهم، ونفهم قيام بعض أبناء البلد المحتل بالخدمة بالإكراه أو من دون إكراه في الجيش الذي

يحتل بلدهم... ولٰكن أن يفرض المحتل على دول الجوار أن تحمي له حدود البلد الذي يحتله وتضمن أمن الاحتلال... فهذا ما لم يعرف التاريخ له نظيراً... عنجهية وجبروت أعجب من العجب.

في المؤتمر الصحافي الذي عقد **بوش الصغير** عقب لقائه الرئيس العراقي الجديد **جلال طالباني** «حذر سوريا من أنَّها قد تعرض نفسها لمزيد من العزلة بسبب عجزها عن مراقبة حدودها لمنع تسلل المسلحين إلى العراق»[٢]. وقال: «هؤلاء يتسللون إلى العراق عبر سوريا ويقتلون العديد من الأبرياء» الأبرياء الذين هم في حقيقة الأمر جنود الاحتلال، الغزاة، وتابع: «إنهم يحاولون قتل شعبنا أيضا، وعلى الرئيس السوري أن يدرك أننا ننظر بجدية إلى عدم تحركه»[٣]. لاحظوا أن واجب سوريا صار حماية الاحتلال الأمريكي للعراق، واجب سوريا حماية الغزاة. وليس لٰهذا فحسب، إن أمريكا تراقب عدم تحرك سوريا لحماية الغزاة... وقاحة غير محدودة. ويتابع الرئيس الأمريكي **جورج بوش الصغير** بوصفه محللا سياسيًّا فيقول: «إن الحكومة السورية تعاني مزيداً من العزلة لسببين: الأول عدم تعاونها مع الحكومة العراقيَّة لتوفير الأمن في العراق، والثاني عدم كونها شفافة في شكل كامل حيال ما قاموا (السوريون) به في لبنان». ليغدو بٰهذه الرؤية من واجب سوريا لا حماية الاحتلال الأمريكي للعراق فقط بل حماية الحكومة التي نصَّبها الاحتلال أيضاً.

---

(٢) . لٰهذه التصريحات كانت في ٢٠٠٥/٩/١٤م، عقب اجتماع بوش الابن مع جلال طالباني في البيت الأبيض.

(٣) . م. س. ذاته.

ولا مانع لذلك من أن يلجأ إلى الابتزاز على الطريقة الجديدة وهو التهديد بالسجل الديمقراطي وحقوق الإنسان، على أساس أن أمريكا حريصة على أن تكون سوريا ديمقراطية، والحقيقة التي كررناها مراراً أنَّ الولايات المتحدة لن تقبل بأي ديمقراطية حقيقية في الدول العربية. ومع ذلكَ فإنها يلجأ بوش إلى ابتزاز النظام السوري بالديمقراطية فقال متابعاً: «لذا فإنَّنا نعتزم العمل مع أصدقائنا... على التركيز على ضرورة أن تغير سوريا سلوكها، لا سيَّما في ما يتعلق بالديموقراطية أو بمحاولة منع الديموقراطيات من الظهور»(٤).

ليس **بوش الصغير** وحده من يطالب دول الجوار بحماية الغزو الأمريكي، وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** فعل ذلكَ غير مرَّةٍ أيضاً.

دونالد رامسفيلد في زيارته للعراق يوم الخميس ٤/٩/ ٢٠٠٣م، أعرب عن عدم ارتياحه لما وصفه بعمليات تسلل مقاتلين إلى العراق عبر الحدود السورية والإيرانية.

وفي التصريحات التي أدلى بها على متن الطائرة التي أقلته إلى بغداد أشار إلى «أنَّ جهود البلدين لوقف التسلل غير كافية». البلدان يبذلان جهوداً، ولكنه غير كافية، هو غير راضٍ عنها. وتابع قائلاً: «نحن غير راضين عن مجيء أناس عبر الحدود السورية والإيرانية، وهم يعلمون أنَّنا غير راضين عن ذلك».

(٤) . م. س. ذاته.

ولكنه أضاف إضافة غريبة إذ قال: «إنَّ القوات الأميركية لا تعلم بالضبط من أين يأتي التهديد الذي يواجهها»، هم لا يعلمون من أين ينبع المجاهدون ضد الاحتلال الأمريكي، ولذلك هو يطالب دول الجوار بأن تترك كل ما أمامها ووراءها من مشاغل وتتفرغ لحماية الاحتلال، لينعم الجنود المحتلون باحتلالهم... فهم غرباء عن الأرض ولا يعرفون من أين يمكن أن يأتي المجاهدون، دول الجوار تعرف ولذلك عليها أن تتولى حماية الاحتلال وجنود الاحتلال.

ولٰكن الأغرب من ذٰلكَ رُبَّما هو أن العراقيون أنفسهم يناضلون من أجل حماية الاحتلال ففاقوا أعجب العجب بعجب وعجب.

ليس مسؤولاً واحداً في حكومة إبراهيم الجعفري من فعل ذٰلكَ، معظم وزراء الصف الأول، أو الوزارء السياديون فعلوا ذٰلكَ. وزير الدفاع **سعدون الدليمي** تحدث صرامة وصرامي وتهديد ووعيد وابتزاز تجاوز **بوش الصغير والكبير**، قال:

«على الدول المجاورة للعراق، وبخاصة الجارة سوريا، أن تهتم بشؤونها الداخلية ولا تتدخل في شؤوننا الخاصة. وأن لا تسمح لأي خارج على القانون أو متسلل أن يعبر إلى العراق عن طريق أراضيها»(٥). وليس هٰذا فحسب بل هدد بالحل العسكري، رُبَّما اجتياح سوريا كما فعل صدام حسين في بالكويت، فقال: «إن التهاون في هٰذا الموضوع سوف يلجئ العراق إلى خيارات أخرى،

(٥) . قال ذٰلكَ في ٢٠٠٥/١٢/١م، في احتفال أقامته وزارة الدفاع بمناسبة تسلمها المهام الحدودية مع سوريا.

حتى لو كان الخيار العسكري من ضمنها»[٦]. ولكنَّهُ أدرك أن هٰذا فوق طاقته، وأن الجيش العراقي الجيش أعجز عن أن يحتل، أو حَتَّى يقاوم، ولذلك استدرك قائلا: «وإذا لم تستطع القوات العراقية أن تفي بالغرض، فإن للعراق الآن معاهدات دولية مع دول عظمى»[٧]. العراق المحتل صار شريكاً لأعظم دول العالم!! وتابع دونكيشوت الدليمي مهدداً: «على الدول المجاورة للعراق ألاَّ تدفعنا إلى إن ينفد صبرنا ونضطر إلى أن نلجأ إلى خيارات قد تؤذي من يحاول أن يؤذي الشعب العراقي ويسمح بدخول الإرهابيين إلى العراق»[٨]. هٰذا البيدق العراقي بيد الاحتلال يناضل لحماية الاحتلال بكل ما أوتي من عزم وقوة، ومقاومة الاحتلال عنده صارت عاراً ووبالاً، ولذلك على سوريا أن تمنع دخول من يرفض الاحتلال، فسوريا كما قال دونكيشوت الدليمي: «أصبحت مدخل شر على العراق وشعبه وأدت إلى تدمير العراق وساعدت الإرهابيين على أن يستعبدوا سكان المناطق الحدودية، ومنها حصيبة والعبيدي والرمانة والكرابلة»[٩]. دنيا كلها عجب.

ومثلما فعل **عنترة بن الدليمي** وزير الدفاع العراقي فعل **هوشيار زوبياري** قبل أيام إذ قال: «إنَّ دمشق تلعب لعبة خطيرة بالسماح للمقاتلين بالتسلل عبر حدودها إلى العراق»، وبدونكيشوتية صارت معتادة قال زيباري: «إنَّ سوريا تلقت تحذيراً من الحكومة العراقية يقول: لا تعتقدوا أنكم قادرون على الاستفادة

(٦) . م. س . ذاته.

(٧) . م. س . ذاته.

(٨) . م. س . ذاته.

(٩) . م. س . ذاته.

من مشاكلنا. قد يحصل ذَلكَ على المدى القصير لكن على المدى الطويل قد يرتد ذَلكَ عليكم».

دمشق نفت هٰذه الاتهامات، وقالت ردًّا على تصريحات بوش السابقة، حسبما أوردت سانا: «إن الرئيس الأميركي **بوش الابن** كرَّر اتهاماته لسوريا بعدم التعاون لضبط الحدود مع العراق على الرَّغْمِ من الإجراءات التي اتخذتها سوريا والجهود التي تبذلها لحماية الحدود ومساندة العراق في توطيد أمنه واستقراره وحماية وحدته وسلامة أراضيه»[١٠].

(١٠) . سانا: وكالة الأنباء السورية. ٢٠٠٥/٩/١٥م.

٤ أغرب تفاوض في التاريخ

في يوم من الأيام صرخت امرأة مسلمة: وامعتصماه!؟!؟! وكان المنجمون قد قالوا **للمعتصم**: «إيَّاك والفتوحات في هٰذا العام فإنه عام شؤم». ولٰكنَّهُ لم يأبه لما استغاثت به المرأة فغزا. لم يستفز الأعداء، لم يفاوضهم، غزاهم وهم بجاهزيتهم، وانتصر، وكان فتح عمورية.

هارون الرشيد استفزه **نقفور** الذي ورث العرش عن أمه بأنه لن يدفع الجزية. لم يفاوضه، ولم يطلب منه شيئاً، أرسل له: «الجواب ما ترى لا ما تسمع»، وأرسل الجيش إليه تاركاً له فرصة الاستعداد للحرب، واستعد وحارب وانهزم.

بل عندما فتح المسلمون سمرقند دخلوها من إعطائها فرصة الاستعداد للحرب ثلاثة أيام على عادة المسلمين فاشتكوا إلى أمير المؤمنين **عمر بن عبد العزيز**، فحولهم إلى القاضي، فأمر بخروج جيش

المسلمين من سمرقند وإعطاء أهلها فرصة شهر ليستعدوا للحرب بدل ثلاثة أيام عقاباً للجيش الذي لم يتصرف بالاحترام الذي يجب أن يتعامل به المسلمون في حروبهم.

صلاح الدين الأيوبي كان مثالاً في إعطاء الفرص للعدو كي يستعد للحرب. كان الصليبيون كلما أرقتهم الحرب طلبوا هدنة ليأتوا بمزيد من الجند والسلاح، فيوافق صلاح الدين ويعطيهم الفرصة لذلك.

لذلك لم يستطع منصفوا الغرب إلا القول: «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب». وعلى أي حال، إذا عدنا إلى تاريخ الغزوات والفتوحات والحروب عبر التاريخ وجدنا كل ما يخطر في البال وما لا يخطر من أنواع الحروب وطريقة تعامل الجيوش في الحروب... ولٰكن في ذلكَ كله لم يشهد التاريخ أغرب من السلوك الأمريكي في الحروب والتفاوض فيما يخص الحروب وغير الحروب.

أمريكا وحدها دون دول العالم عبر التاريخ تفاوض بطريقة عجائبية لا نظير لها ولا مثيل...

رُبَّما تكون اللازمة التي لا تغيب عن أي تفاوض من أي نوع عي الاعتراف بإسرائيل: «اعترف بإسرائيل وتعال نتفاوض». في أي ميدان وأي موضوع من التفاوض يكون الاعتراف بإسرائيل المطلب الذي لا غنى عنه، حَتَّى في الجوائز العالمية وخاصة نوبل، يكاد لا يفوز بها أحد ليس معترفاً بإسرائيل، ليس صديقاً إسرائيل. **أحمد زويل** عالم بالكيماء، حقق إنجازاً خدم البشرية خدمة مذهلة، واستحق عليه جائزة **نوبل** فور

نجاحه في اكتشافه، ولٰكنَّهُ لم ينل الجائزة إلا بعد سبع سنوات من إنجازه، خلاف كل من نال **نوبل** في ميادين العلم. لقد ظل يجرجر حَتَّى اعترف بإسرائيل، وزار إسرائيل، وقبل بجائزة إسرائيلية!! أما **أدونيس** الذي أدرك هٰذه الحقيقة فقد اعترف بإسرائيل منذ سنوات كثيرة، وكل سنة مع اقتراب الترشيحات يبدأ بالمزاودات في الاعتراف بإسرائيل وحب إسرائيل، وكلن رُبَّما لأنه لم يزر إسرائيل بعد فقد فقد فرصة الفوز بنوبل في سنة.

لندع نوبل جانباً، تعالوا ننظر في طريقة التفاوض الأمريكية مع حالة الرهائن. تعرض الأمريكان غير مرة لأن يختطفوا ويكونوا رهائن إما على مستوى أفراد أو جماعات لسبب أو لآخر. لعَلَّ أبرزها الرهائن الذين احتجزتهم إيران إبان ثورتها وطالبت بالإفراج عن الأموال الإيرانية المحتجزة ورُبَّما لا أكثر. ماذا كان الموقف الأمريكية: أفرجوا عن الرهائن وتعالوا نتفاوض... أفرجوا عن الرهائن وتعالوا نتفاوض!! إذا تم الإفراج عن الرهائن فعلى ماذا يكون التفاوض؟ وما الذي سيقى بأيدي الطرف الآخر من الأوراق ليفاوض بها؟ ولو كان قادراً على تحصيل حقه من أمريكا بأي طريقة هل كان لجأ إلى خطف الرهائن؟

الحقيقة التي لا بُدَّ من ذكرها تنقسم إلى قسمين؛ القسم الأول أن القوي، مثل الولايات المتحدة لا يقبل أن يتم ابتزازه، ولهٰذا حق للقوي لا يمكن انتزاعه. ولٰكنَّ القسم الثاني هو أن الولايات المتحدة عاجزة عن أن تدخل أي جولة مفاوضات وهي مكسورة اليد. إنها في علاقتها مع

خصومها على أتم الباطل غالباً، وفي مثل ذَلكَ قال المفكر الفرنسي آلان جريش في محاضرة له: «لو كان على الولايات المتحدة أن تعترف بالأخطاء الَّتي اقترفتها على امتداد القرن المنصرم، لأمضت الألفيَّة الثَّالثة على كرسيِّ الاعتراف»(١١). ولأنها تدرك تمام الإدراك أنَّها ساقطة في أي تفاوض منطقي، ساقطة أمام أي محاجة في أي مشكلة مع الآخرين، فإنها لا تدخل في أي تفاوض، وإنما تفاوض بطريقة الإملاء على الآخرين وافق مصالحهم أو لم يوافقها، اقتنعوا أم لم يقتنعوا. وهي في ظاهرة تكون تكاد نادرة في تاريخ الدول.

سيوجد من يقول إن التفاوض بهٰذه الطريقة الأمريكية حق، كما ألمحنا أصلاً. سندع ذَلكَ جانباً إذن. تعالوا ننظر كيف تحارب، كيف تفاوض من تريد أن تحاربهم. من تريد أن تحارب لا من تنتصر عليهم.

للنظر فيما حدث في عدوان احتلال العراق قبل العدوان. بغض النظر عن متى بدأ التخطيط لمعركة احتلال العراق. فإن التهديد والابتزاز بدأ قبل سنوات. جاءت أحداث ا لحادي عشر من أيلول لتقطع سلسلة الاهتمام بالعراق قليلاً، ولٰكنَّهَا سرعتها ما عادت إلى موشحها الذي بدأ منذ ما بعد الانتهاء من تحرير الكويت ١٩٩١م.

أمريكا بقوتها وعنجهيتها وعظمتها لا تجرؤ على خوض معركة مع عدو ما لم تجرده من سلاحه تمام التجريد. وما حدث في حربها مع العراق خير أنموذج

(١١) . نبيه البرجي: **ما وراء كرسي الاعتراف** . ضمن جريدة **العهد** . العدد ٨٤٢ . الجمعة ١٨ذو الحجة ١٤٢٠هـ الموافق لـ ٢٤ آذار ٢٠٠٠م.

ودليل على ذَلكَ، وليست الأنموذج الوحيد. فهي ظلت تجرد العراق من السلاح رويداً رويداً حَتَّى وصل إلى نقطة الصفر. قبل أيام من العدوان سلم العراق آخر صواريخ يمتلكها مداها خمسين كيلومتر، أي لن تخرج من العراق إذا أطلقها من أي نقطة في العراق. هنا فقط اطمأن الأمريكان وشنوا حربهم على العراق.

لقد ظلت أمريكا تكرر للعراق: سلموا أسحلتكم وتعالوا ننتفاض، كلما قدم العراق ورقة تفاوض جاوبهم الأمريكان: سلموا سلاحكم وتعالوا نتفاوض... ما السلاح؟ لا نعرف، نعرف أنَّهُ يوجد سلاح، سلموا السلاح وتعالوا نتفاوض... عشر سنوات من هٰذا الابتزاز حَتَّى لم يبق العراق قادراً على أي مواجهة أو رد أو تهديد... عندها فقط أعلنت العملية العسكرية.

قد يقول قائل: هٰذا تجني.

أقول تعالوا نسرد تاريخ الحروب الأمريكية الحديثة خاصَّة. ماذا سنجد؟ سنجد قصف صربيا ١٩٩٩م، الذي كان حصراً جواً وبالصواريخ بعيدة المدى من دون دخول أي جندي... في حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م، الذي كان بالطيران والصواريخ فقط، فيما وضعت الجيوش العربية في المواجهة مع الجيش العراقي، كاسحات ألغام يعني، حَتَّى يدخل الجيش الأمريكي على محجة بيضاء، سلام وأمان... ويتحدثون عن بطولات أسطورية في الأفلام الهوليودية. هل نعود إلى الحرب العالمية الأولى؟ متى تدخلت أمريكا وكيف؟ تدخلت بعد انهيار الجميع، وحصدت كل الجوائز، ورسمت خريطة العالم للمرحلة التالية.

حسناً، هل كل حروبها كذَلكَ؟

لا، إطلاقا، لقد تدخلت عشرات المرات في مواضع كثيرة، ولٰكنَّهَا كلها تدخلات من هذي الطبيعة تقريبا، فكل التدخلات في الأمريكتين هي تدخلات في فضائها الذي تحت يدها. قد يكون هناك استثناء، لا أدري، ولٰكنَّ هٰذه هي القاعدة: لا تتدخل حَتَّى تكون الأرض أمامها نظيفة من أي مقاومة مفاجئة، أو غير مدروسة بعناية... أمريكا لا تحارب أحداً لا تعرف قدراته، وليدها اليقين بالنصر بأقل الخسائر... ولذٰلك ستكون أمريكا أمام صدمات كبيرة وكثيرة في أفغانستان والعراق... هٰذه العقلية لا يمكن أن تنجح في إدارة العراق وأفغانستان، وستجد نفسها أمام مفاجآت صاعقة قد تجعلها تندم كثيراً.

٥ أغرب محاربين في التاريخ

أغرب محاربين في التاريخ تعبير يصدق يقينا على الجنود الأمريكيين الذي احتلوا العراق. هل ينطبق على الجنود الأمريكيين في ڤيتنام؟ لا أدري فالأخبار التي وردتنا عبر هوليود تقول إنهم من طراز هرقل، أساطير بطولة لا تقهر ولا تنهزم ولا تتقهقر... ولٰكنَّ الڤيتناميين قالوا إنهم أرانب يبكون مثل الأطفال الصغار... متناقضات لا تعنينا هنا... ولٰكنَّ الاستنتاج المنطقي يقول إن هٰذه الغرابة مستنسخة من العقلية الغربية بالعام لا بالمطلق.

في يوم من الأيام أرسل جندي بلجيكي إلى أهله واصفاً خدمته العسكرية في جنوب أفريقيا، فقال لهم:

. «يا لقذارتهم، تصوروا أن أحدهم عضَّ يدي وأنا أطلق عليه النار».

تصوروا كم هو قذر هٰذا الإفريقي الذي عض يد الجندي البلجيكي وهو يطلق عليه النار... كان يجب أن يخنع بذل وخشوع وهو يتلقى الرصاصة في رأسه... كما كانوا يفرضون على الأسرى والعبيد أيام الرومان، والإغريق كذٰلكَ. أيام الإغريق كان على العبد أن يؤمن بأنه عبد بطبيعته، مثلما الحصان خصان بطبيعته، هل يستطيع الإنسان أن يفكر في أنَّهُ إنسان؟ كذٰلكَ العبد لا يحق له أن يفكر في أنَّهُ إنسان، إن بنيته بنية عبد... وهٰذا ما سماه الإغريق بالرق الطبيعي... الرق الطبيعي يعني أنَّهُ خلق كي يكون عبداً، فحتى ولو كان حراً فهو عبد يجب أن يعود إلى طبيعته.

لا ينفصل عقل الأحفاد عن عقل الأجداد. سيعترض المتفلسفون. ليعترضوا، لهم ذٰلكَ. ولٰكن هٰذه حقيقة. والأمريكيون جزء من هٰذا التاريخ الإغريقي الروماني... امتداد له، مهما تنوعت أمريكا بالأعراق، فالعقل الذي يحكمها هو عقل ورثة روما، روما وريثة أثينا.

الجنود الأمريكيون الذين احتلوا العراق لم يبتعدوا أبداً عن هٰذه العقلية. ولٰكنَّهُم كان أكثر غرابة في عدد من التصريحات التي صدرت عنهم في مواقف متعددة. فإذا كان الجندي البلجيكي قد اشتكى وتذمر من الزنجي الذي عض يده فيما كان يطلق عليه النار، فقد قالها عن عنجهية. أما الأمريكي الذي اشتكى في العراق فقد اشتكى لا أعرف كيف أصف شكواه. لقد سمعنا غير واحد منهم يقول، حَتَّى في التصريحات التي يدلي بها المسؤولون العسكريون الأمريكيون:

. انظروا إليهم، إنهم يطلقون النار علينا!!

وماذا تنتظرون من بلد قمتم بغزوه واحتلاله؟

أيعقل أنهم لا يدركون أنهم غزاة محتلون. أتذكر هنا أن الأمريكيين فوجئوا بالمقاومة العراقية عند بدء المعركة البرية. كانوا يتوقعون أن يتم استقبالهم بالورود والعطور!!!

لا أعرف إن كان هٰذا غباء، أم بلاهة، أم تضليلاً منهم، أم تضليلاً عليهم؟!! في كل الأحوال فإنهم بتوقعهم هٰذا بلهاء بامتياز. وهل هم قادمون من المريخ؟ من مجموعة شمسة أخرى غير مجموعة درب التبانة مثلاً حَتَّى يكونوا بهٰذه البلاهة وعدم الفهم؟ أم أنهم ليسوا من طبيعة البشر؟!!

٦ أغرب منقذين في التاريخ

غرائب السياسة الأمريكية بالتأكيد لا تنتهي. فطالما أن المقدمات هي ذاتها فإنها النتائج هي ذاتها. مقدمات السياسة الأمريكية هي العقلية الأمريكية الأمريكية والعقلية الأمريكية هٰذه هي، إذن غرائب وعجائب السياسة الأمريكية نبع سيظل يقيض علينا بمدهشاته. هٰذه العقلية ليست وليد اليوم إنه متأصلة في الطبع الأمريكي، أعني السياسة الأمريكية فالشعب الأمريكي له شأنه.

هٰذا المشهد الذي أود الحديث فيها الآن يذكرني بقصة **النَّمرود** مع نبي الله **إبراهيم** عليه السلام... من غرائب السياسة الأمريكية وعجائبها تمثلهم موقف **النَّمرود** عندما حاجَّه نبي الله **إبراهيم** في الله، وراح يجادله في ذٰلكَ:

قال **إبراهيم**: ربي يحيي ويميت.

قال **النَّمرود**: أنا أحيي وأميت.

قال **إبراهيم**: كيف؟

جاء **النَّمرود** باثنين واحد محكوم بالإعدام وآخر بريء. قال للمحكوم بالإعدام اذهب أنت حر، وقال اعدموا هٰذا الرجل. ونظر إلى إبراهيم وقال له:

. أرأيت كيف أني أحيي وأميت؟!

بل إن **النَّمرود** كان أكثر منهم واقعية وخضوعاً للمنطق، فعندما قال له إبراهيم: ربي يأتي بالشمس من المشرق فأتب ها من المغرب...

بُهت الذي كفر.

بُهت **النَّمرود** وأسقط في يده ولم يجد جواباً.

الولايات المتحدة الأمريكية تجاوزت ذٰلكَ كلِّه. إنها تصدق أنَّها تحيي وتميت، وتخال أنَّها حقًّا تعكس مسار الشمس. ظهرت هٰذه الشيزوفرينيا على نحو فاقع واضح فاضح في احتلال كل من أفغانستان والعراق. تكاد تكون الصورة ذاتها من الأوهام التي تسوِّقها وتقتنع بها، وتريد إجبارنا بالاقتناع بها.

أفغانستان عاشت عشرات السنين من الصراع والاقتتال الداخلي وعندما استقر الأمر لطالبان التي دان لها الجميع وبدأت الدولة بالظهور والاستقرار جاءت أمريكا ودمرتها وأعادتها إلى ما تحت الصفر، وزعمت أنَّها جلبت الاستقرار لأفغانستان... جلبت لهم الديمقراطية...

ظلوا سنوات يتهمون طالبان بعدم بأنهم يمنعون البنات من التعلم، ولا يسمحمون لهن بالذهاب إلى المدارس، وهيجوا العالم على طالبان بسبب تعليم البنات، وعندما احتلت أمريكا أفغانستان لم تجد مدارس لتعليم الصبيان، لم تستطع تعليم البنات ولا الصبيان، ومع ذَلكَ تريد إقناعنا بأنها حققت تقدُّماً تاريخيًّا.

كان العراق دولة واحدة منسجمة متماسكة، وإن كانت فيها بعض المشكلات التي لا يمكن إنكارها... جاءت أمريكا وفتت العراق وراحت تروج أنَّها أنقذت العراق من التقسيم!!!

أنقذ أمريكا العراقيين من ديكتاتور اسمه **صدام حسين** وفرضت عليهم ديكتاتورية طائفية أبشع بمليون مرة من ديكتاتورية **صدام حسين**. وعلى أي حال ما بدر من هٰذه الديكتاتورية الطائفية إلى اليوم ليس إلا مزاحاً ولهواً، وما أظن إلا أنَّ قادم الأيام سيكشف عن مدى بشاعة ما فعتله أمريكا بالعراقيين والمنطقة بإسقاط ديكتاتور فرد لتحل محله ديكتاتورية طائفة...

أمريكا أنقذت العراقيين من العراقيين ووضعتهم تحت سيادة أعدائهم من الخارج!!!

الأمريكيون يدمرون موارد الأفغان والعراقيين الغذائية والمائية ليصبحوا مشردين بلا مأوى ولا طعام ولا شراب... ثُمَّ يحمل الأمريكيون مكبرات الصوت ويصرخون: نحن قادمون لإنقاذكم، سننقذكم لا تخافوا، سنجلب لكم الماء

والغذاء والدَّواء... أبشروا لقد جاء رسل المحبة والسَّلام لإنقاذكم... نحن المنقذون!!!

الأمريكيون دمروا في العراق البنية التحتية والفوقية والوسطى والجانبية... ويريدون من العراقيين أن يشكروهم على ذَلكَ!!! ألا تصدقون ذَلكَ؟ هٰذه هي الحقيقة. لقد كانت العراق كلها لا تنقطع عنها الكهرباء ولا المياه النقية، وعلى رغم حصار اثنتي عشرة سنة لم تحرمهم الدولة من أهم ومختلف احتياجات الحياة الغذائية إلى حدٍّ كبير... احتلت أمريكا اعراق فحرمتهم كل شيء من كهرباء وماء وغذاء، وصاروا يضطرون لشرب المياه الآسنة... ويأتي **جي چارنر** قائد سلطة الاحتلال الأمريكي للعراق بعنجهيته وسخريته ليحمِّل العراقيين المنيَّة بقوله: «لَقَد أعيدت الكهرباء إِلَى معظمكم، وصرتم تشربون المياه النظيفة...». وكأَنَّهُم كانوا أولاد شوارع، مشردي شوارع لا يعرفون شيئاً عن الماء ولا الكهرباء وجاءت الأم الأمريكية الحنون لتقدم لهم هٰذه النِّعَم...

ويصل الأمر إلى حد الهزء بالإسلام والعبادة بوقاحة غير مسبوقة على المستوى ساسة دولة، أو تصريحات مسؤولين. فبعد الانتقادات الكبيرة لسوء معاملة المعتقلين في چوانتنامو، والتَّضييق عليهم في حرية العبادة، والإساءة الكبيرة أمامهم للإسلام والقرآن والمقدسات الإسلامية تنطع جون أشكروفت وزير العدل الأمريكي، وزير العدل وليس وزير

الـدفاع ليقـول سـاخراً مسـتهزئاً، ولٰكـنَّ بنـبرة الجـد والجديَّـة: سـنعطيهم قرآنـاً ومصلاة.

في حـين أنهـم في الأقفـاص مكبلـون تكبـيلاً يضـيق علـيهم التَّـنفس لا الحركـة وحسـب. ومـع ذٰلـكَ لم يصـدر تعليـق، لا احتجـاج، تعليـق مـن أي مسـؤول عـربي أو مسـلم علـى هٰـذا الهـزء والسـخرية بالإسـلام. وضـعوا المسـلمين في أقفـاص القـرود وقـالوا لهـم أنقـذناكم مـن أنفسـهم وتهـوركم وسنعلمكم الإسلام الحقيقي.

هٰـذه بعـض المشـاهد الـتي تكـررت بعشـرات الصـور والأشـكال بمـا يـوحي لـك أن السياسـة الأمريكيـة إمَّـا أنَّهـا تعـيش حالـة شـيزوفرينية حقيقيـة أو أنَّهـا تريـد أن تقـود العـالم الإسـلامي، أعـني الإسـلامي تحديـداً، إلى أن يعـيش هٰـذه الشـيزوفرينيا، أي الفصـام، الهسـتريا الـتي لا يعـرف صـاحبها أيـن الحقيقـة ولا مـا هـي الحقيقـة. ولـذٰلك تعجـز حقيقـة عـن تشـبيههم. أحيانـاً أشـعر أن الساسـة الأمريكـان هـم ذٰلـكَ المعتـوه الـذي أخـرج الأسمـاك مـن حـوض السَّـمك ووضـعها علـى الطاولـة، وعنـدما سـألوه لمـاذا فعلـت ذٰلـكَ؟ قـال: خشـيت عليهـا مـن الغـرق في المـاء... لقـد كانـت تغـرق في المـاء فأنقذتها من الغرق.

أحياناً أخرى أخالهم تلك العاهرة التي تمارس الدعارة بالأجرة لتتصدق بما تقبضه على الأيتام... تحت عنوان فاعلة خير:

كَمَنْ تُطْعِمُ الأَيْتَامَ مِنْ كَدِّ فَرْجِهِا
لَكِ الوَيْلُ لاَ تَزْنِيْ وَلاَ تَتَصَدَّقِيْ

بل إذا أردتم الحقَّ فإنَّ العاهرة بسلوكها الموصوف هٰذا أشرف وأطهر وأكثر توازنا من السياسة الأمريكية. فالعاهرة لم تيتم الأطفال، ولم تكن سبب مأساتهم... تيتموا وهي تمارس الدعارة لتتصدق عليهم. بينما السياسة الأمريكية هي التي تيتم الأطفال وتأتي لتتصدق عليهم من مالهم، وتريد أن تقنعهم بأنها أنقذتهم، على الرَّغْمِ من أنهم يعرفون الحقيقة!!!

٧ أغرب عداء للتاريخ

عندما بدأت الحملة الأمريكية ضد سوريا تتصاعد، إير سقوط بغداد، قال الرئيس الفنزويلي **هوجو تشافيز**: «إن **جورج بوش** والولايات المتحدة أغبياء لأنهم يحاربون سوريا، لأنهم لا يعرفون أن سوريا هي التاريخ والتاريخ لا يهزم...».

هٰذه الحقيقة الأكيدة التي يجب أن نفهم من خلالها السياسة الأمريكية. الحقيقة التي تقول إن أمريكا لا تعرف قيمة لتاريخ ولا لمقدس، لا قيمة عنها إلا لواقع مصالحها حَتَّى ولو كانت على حساب أقدس المقدسات رُبَّما مقدسات الآخرين فقط، ورُبَّما مقدساتها هي أيضاً. ولا أظن إلا أن سدنة الكفر في أي زمان ومكان هٰذا ديدنهم.

اليوم الأربعاء[١٢] قصفت المقاتلات الأمريكية أحد القصور التاريخية الأثرية التي تعود إلى أيام الخلافة العباسية. في أي وقت من أوقات الخلافة العباسية كان فإن القصر له قيمة تاريخية كبيرة على المستويين الديني والتراثي. ونعرف معنى هٰذه القيمة عندما نعلم أن شعوباً أخر تعد الأثر من آثارها الذي يعود إلى مئة سنة أثراً تاريخيًّا تقيم له المراسم والطقوس الاحتفالية، فكيف بقصر يعود إلى عصر بني العباس قبل أكثر من ألف سنة؟

يقع القصر في منطقة الضلوعيَّة ببغداد، على مسافة تسعين كيلومترًا من تكريت الواقعة شمالي العاصمة العراقية بغداد.

لماذا تم قصف القصر؟

زعمت الإدارة الأمريكية أن عناصر من المقاومى العراقي يتخذونه مقرًّا له. هل هٰذا زعم أم حقيقة؟ إن كان زعماً أو حقيقة فإن الولايات المتحدة ارتكبت مجزرة بحث الإنسانية جمعاء بنسف هٰذا الأثر التاريخي. أيعقل أن تعجز الولايات المتحدة عن طريقة تتعامل بها مع المقاومة العراقية التي توجد في القصر إلا نسف القصر عن بكرة أبيه. قصر تبلغ مساحته أكثر من ألفي متر مربع يقصف قصفً مركزاً بأربعة صواريخ من المقاتلات الأمريكية ويدمر تدميراً كاملاً حَتَّى تمت تسويته بالأرض، لأن فيه بعض عناصر المقاومة؛ عناصر مقاومة عراقية للاحتلال الأمريكي وليسوا مافيا، ولا قطاع طرق!!!

(١٢) . تم استهداف القصر وتدميره يوم الأربعاء ٢١ شوال١٤٢٦هـ – ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥م.

هٰذا هو فجور الكفر الصريح، هؤلاء هم أعداء الإنسانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فكيف يدعون أنهم دعاة محبة وسلام؟ كيف يدعون أنهم يحاربون الإرهاب وهم الإرهاب عينه؟ كيف يدعون أنهم ينشرون الحرية والديمقراطية وهم أشد أعداء الإنسانية؟!

هٰذه ليست المرة الأولى على أي حال، في العراق وحدها ولا نتحدث عن أماكن أخرى وتواريخ أخرى. فقبل ذٰلكَ ودمرت القصر العباسي الأول الذي بناه الخليفة أبو العباس السفاح في شمال الفلوجة عند منطقة الصقلاوية الذي هو أكثر قيمة تاريخية من هٰذا القصر. وفي وقت سابق، في بداية العام الحالي أيضاً نسفت منارة الخليفة المعتصم بالله المعروفة بمنارة الملوية الأثرية.

هٰذا ليس أشد ما فعله الأمريكان من الحقد على التاريخ الذي هو ملك البشرية جمعاء. من فعل مثل ذٰلكَ يفعل كل ما هو مشابه له أدنى منه شدة أو يفوقه شدَّةً. ولماذا نبتعد كثيراً؟ لنعد إلى الأيام الأولى لسقوط بغداد بَيْنَ براثن الاحتلال الأمريكي وماذا كان من القضاء على آثار التراث البشري التي لا نظير لها في بلد من بلدان العالم قيمة وأهميَّة وقدماً... لقد فتحوا أبواب المتاحف على مصراعيها للنهب والتدمير ونهبت الآثار التي لا تقدر بثمن والتي تستحق وقفات مطولة لوحدها.

نعرف أن بشراً يعادون بشراً، ولٰكنَّ أن يعادوا التاريخ بهٰذه الطريقة الحاقدة الحمقاء فهٰذا ما قل نظيره عبر تاريخ البشر. الاستعمار الأوروبي

الـذي دخـل الـوطن العـربي كـان يحـافظ علـى الآثـار؛ يسـرقها، نعـم، ولكنَّـهُ عاملهـا برفـق وحـرص شـديدين. أمـا الأمريكـان فعـداؤهم للتـاريخ أمـر غريـب عجيـب. مـن ذا الـذي يمكـن أن يشـبههم في ذلـكَ إلا مـن يفـوقهم حقـداً على التاريخ؟

٨ أغرب تمول حرب في التاريخ

حَتَّى إعداد هٰذا الكتاب للطباعة بلغت تكاليف الحرب على العراق ما يقل عن ثلاثة ترليونات دولار. التقديرات الرسمية أقل من ذَلكَ، ورُبَّما أقل بكثير، ولٰكنَّ التقديرات الحقيقية تقترب جداً من هٰذا المبلغ الخرافي.

الإدارة الأمريكية تتجنب الحديث في تكاليف حملتها العسكرية لاحتلال العراق والبقاء فيه، بعض الباحثين يرى أن هذا التعتيم على التكاليف ناجم من خوف الإدارة الأمريكية من رد فعل من يسمونهم دافعي الضرائب الأمريكية أي المواطن الذي بدأ ينظر لاحتلال العراق على أنَّهُ لأمر لا يعنيه والضرائب التي يدفعها يفترض أن تمول مشاريع التنمية وإنعاش الاقتصاد الأمريكي الذي ما يفتئ يعاني الركود بَيْنَ الحين والحين.

التكلفة خرافية بكل المعايير، ومن المتوقع أن تتضاعف في السنوات القادة القليلة ما لم تنسحب من العراق انسحاباً شاملاً.

على أيِّ حالٍ لا حرب من دون تكاليف؛ تكاليف من مختلف الأنواع والمستويات المادية والبشرية. تاريخيًّا من يشن الحرب يدفع ما يلزمه من تكاليف للعدوان، للغزو... ولا يكترث بما سيخسره المعتدى عليه مهما كانت الخسائر التي يتكبدها. لهذه هي سنة الحروب عبر التاريخ. يعني أنَّهُ لا مجال للاعتراض عليها على الرَّغْمِ من أنَّ بعض الشعوب ببدعة من اليهود صاروا يرفعون دعاوى قضائية تقتص من المختل وتغرمه غرامات مادية تعويضاً على الاحتلال والأضرار التي نجمت عنه، وحَتَّى الضحايا.

الولايات المتحدة جاءت بالعجب العجاب الذي لا يدخل العقل من أيِّ باب. وقبل أي تعليق يجب تذكر أنَّ العدوان على العراق، غزو العراق، احتلال العراق... خيار أمريكي، قرار أمريكي، إرادة أمريكية، تنفيذ أمريكي... لم يأت مصادفة، ولا ردَّة فعلٍ، ولا بناء على توصية من صديق، ولا حرجاً من حبيب أو صديق... وإنما كانت مخطَّطاً مبرمجاً منذ سنوات تعود إلى عام ١٩٩٦م كما رأت بعض التحليلات.

لأول مرة في تاريخ الحروب، لأول مرة في تاريخ الشعوب نجد ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية. هي الأولى التي فرضت على المجني عليه أن يدفع لها ثمن عدوانها عليه. الولايات المتحدة تحتل العراق، وتدمر العراق، وتفرض على العراق أن يدفع لها ثمن الصواريخ والقنابل والأسلحة التي تم قصف العراق بها، وتدمير العراق بها، وقتل العراقيين بها!!!

قد يقول قائل هٰكذا كان شأن حرب تحرير الكويت، ورُبَّما الحرب على القاعدة في أفغانستان. الأمر ليس كذٰلكَ؟ هناك تشابه في الفكرة والنتيجة، ولٰكنَّ السلوك مختلف تماماً، السلوك هنا وقح وقاحةً ما لها حدود، بينما كان هناك وقح وقاحة كبيرة.

في حرب تحرير الكويت ١٩٩١م الذريعة حاضرة، على الرَّغْمِ من أن تحرير الكويت لم يكن إلا لمصالح أمريكية خالصة. ولٰكنَّ ذريعتها أنَّهَا تساعد الأشقاء الكويتيين في تحرير بلدهم، وتأخذ التكاليف. وإذا نظرنا فيمن دفع تكاليف تحرير الكويت ندرك جيداً حقيقة أنَّ الحرب كلها لمصالح أمريكية لا غير. ومع ذٰلكَ أمريكا لم تدفع دولاراً واحداً في كل عدوانها وحربها لتحرير الكويت... بل أخذت أموالاً أكبر بكثير من التكاليف التي دفعتها. أما الذين دفعوا التكاليف فهم: السعودية دفعت ٦٠ مليار دولار، الكويت دفعت ٢٥ مليار دولار، الإمارات العربية المتحدة دفعت ١٢ مليار دولار، ألمانيا دفعت ١٢ مليار دولار، اليابان دفعت ١٢ مليار دولار، ولا ندري ماذا في الكواليس من دافعين ومبالغ الدفع.

أما في حرب احتلال العراق فالأمر أوقح من الوقاحة، وأقذر سلوك يمكن تشهده البشرية. لقد دمرت أمريكا العراق وفرضت على العراقيين أن يدفعوا ثمن الأسلحة التي تم تدمير بلادهم بها!!! أمريكا قتلت العراقيين وفرضت على الأحياء منهم دفع ثمن الرصاص والصواريخ التي مات أهلهم بها!!! أمريكا احتلت العراق وفرضت على العراقيين أن يدفعوا التكاليف التي تكبدتها الولايات المتحدة في الاحتلال!!!

هل عرف التاريخ أوقح من ذَلكَ؟!

أنا لا أتحدث عن أموال الاستثمارات التي تحدثنا وتحدث فيها الكثيرون، أعني عقود إعادة الإعمار، عقود الاستثمار، عقود المشاركات، التعهدات... وغير ذَلكَ كثير. لا، أبداً، أنا أتحدث عن أموال ستدفع مباشرة من العراق لأمريكا ومعها بريطانيا.

لم يكن ذَلكَ مخفيًّا، ولا سريًّا، فمنذ ما قبل الاحتلال أعلنت أمريكا خاصة وبريطانيا الحليف التوأمي أنهما ستحصلان علي تكاليف غزوهما للعراق من خلال اقتطاع جزء من إيرادات صادراته النفطية. وأرجو أن تلاحظوا جيداً الفرق بَيْنَ نهب خيرات الشعوب وبين دفع فاتورة الاحتلال من قبل المجني عليه. الفرق واسع شاسع كبير.

منذ ما قبل الاحتلال، وعندما تم الإعلان عن هٰذه النوايا توقع الكثيرون أن تبالغ أمريكا وبريطانيا في تقدير التكاليف للحصول على أكبر قدر من التعويض، خاصة وأن التوقعات تشير إلى صعوبة أن تقوم بعض الدول السابقة بدفع تكاليف الحرب الأمريكية لاحتلال العراق... يتوقعون عدم رضا الدول الخليجية على احتلال العراق ولذَلك لن يدفعوا. هٰذا توقع، توقع فقط مما لا يعرف حقيقة نوايا دول الخليج التي رُبَّما تنام وتصحو على أمل قيام أمريكا باحتلال العراق والقضاء على نظام **صدام حسين**.

وليس هٰذا فحسب بل إن الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً للمخططات التي وضعتها يمكن أن تعوض تكاليف الحرب خلال سنتين من خلال وارد إضافي جانبي هو فرض تراجع أسعار النفط إلى حد كبير واستثمار ذَلكَ في

تخزين كميات هائلة من النفط. لهذا السيناريو لم ينجح في حقيقة الأمر، ولٰكنَّ الولايات المتحدة حَتَّى الآن تسيطر سيطرة شبه تامة على النفط العراقي. لم تكتف بأخذ مال مباشر من العراق ثمناً للأسلحة والذخائر التي تم احتلال العراق بها، تدمير العراق بها، وقتل العراقيين بها، بل تسرق النفط العراقي من دون رقيب ولا حسيب.

ويبقى السؤال: العراق أحد أعرق حضارات البشر التي احتوت من التراث البشري والآثار ما لا يقدر بثمن... دمرت كلها، نهبت كلها... من الذي سيدفع ثمنها؟

٩ في أغرب تمويل أيضاً

استكمالاً لمقالنا السابق الذي حمل عنوان أغرب تمويل حرب في التاريخ نتابع في الموضوع ذاته ولٰكن من زاوية أخرى. نشر موقع الجزيرة نت تقريراً تحت عنوان: واشنطن تخطط لتمويل الحرب من عائدات نفط العراق في إطار خطة أنجلوأميركية لإدارة مبيعاته من الخام. جاء في التقرير:

«تعكف الولايات المتحدة وبريطانيا على وضع التَّفاصيل النهائيَّة لمشروع استغلال عائدات النفط العراقي بعد الحرب التي يتوقع مراقبون ومسؤولون أن تندلع في الساعات القليلة المقبلة. ويقضي المشروع بإنفاق أربعين مليار دولار من عائدات مبيعات النفط العراقي على نفقات الحرب وما سيليها.

وستقدم بريطانيا والولايات المتحدة المشروع لمجلس الأمن خلال أيام على أن يتم الإنفاق تحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة. ولا يعرف ما إذا كانت

واشنطن ولندن سيقتطعان كذلكَ ديون العراق البالغة ستين مليار دولار من عائدات نفطه. وسيخفف ذلكَ عن كاهل لندن وواشنطن العبء الأكبر من كلفة الحرب والاحتلال.

وتبلغ الطاقة التصديرية الحالية للعراق . الذي يملك ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم بعد السعودية . ٢,٣ مليون برميل يوميًّا، وتشير تقديرات بأنها سترتفع إلى ٣,٦ مليون برميل بحلول نهاية ٢٠٠٤م.

وتشير خطةٌ شارك في إعدادها خبير النفط العراقي **صبري السعدي** إلى أنَّ عائدات مبيعات النفط العراقية ستبلغ ١٩,٤٣ مليار دولار في السنة الأولى بعد رحيل الرئيس العراقي **صدام حسين** عن السلطة ثمَّ ترتفع إلى ٢٥,٢ ملياراً في العام الثاني.

وتتوقع الخطة التي تضع تصوراً لإعادة إعمار العراق بعد انتهاء الحرب، أن تتجاوز النفقات الحكومية خلال العامين المذكورين ٤٠ مليار دولار، يخصص نصفها لتمويل برامج إعادة الإعمار»[١٣].

هنا صار من الواضح لماذا ناضلت الولايات المتحدة من أجل انتزاع قرار من الأمم المتحدة. ليس من أجل الشرعية، ولا الغطاء الأممي لعدوانها على العراق، بل من أجل أن لا تدفع هي تكاليف ضرب العراق واحتلاله، من أجل تحصيل فاتورة لهذا العدوان من دول العالم، والدول العربيَّة خاصَّة... أبنا في المقال السابق سالف الذكر القسم الأول من وقاحة أمريكا في تكليف العراق بدفع ثمن تدميره، وهنا

(١٣) . واشنطن تخطط لتمويل الحرب من عائدات نفط العراق؛ في إطار خطة أنجلوأميركية لإدارة مبيعاته من الخام. الجزيرة نت (وكالات). الخميس ١٤٢٤/١/١٧هـ الموافق ٢٠٠٣/٣/٢٠م.

القسم الثاني من نهب ثروات العراق تحت عنوان تسديد فاتورة الحرب، دفع التكاليف التي تكبدتها أمريكا وبريطانيا في احتلال العراق وتدميره.

المسألة لا تنتهي هنا للآسف. لهذا المخطط الذي ذكرناه قبل قليل نشر في اليوم الأول للعدوان الأنجلوأمريكي على العراق. تصوروا الوقاحة إلى أين وصلت!! ومع ذلكَ المسألة لم تنته هنا كما أشرنا، ففي آخر تشرين الأول من عام ٢٠٠٣م انشغل الأمريكيون والعالم بفضيحة بيع العراق وأفغانستان للشَّركات الأمريكيَّة التي يملكها الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** وأصدقاؤه؛ عقود الاستثمار وإعادة الإعمار.

نقلا عن وكالات أنباء مختلفة منها رويتر والفرنسية نشر موقع الجزيرة نت تقريراً بعنوان: اتهامات لبوش بمحاباة الشركات العاملة بالعراق، جاء فيه:

«أكد تقرير أميركي أنَّ عدداً من الشركات الأميركية التي حصلت على عقود بمليارات الدولارات في العراق وأفغانستان كانت من كبار المانحين للحزب الجمهوري والرئيس **جورج بوش الابن** ويوجد بإداراتها شخصيات مرموقة عملت في الحكومة أو الجيش.

وذكر التقرير الذي أعده مركز النزاهة العامة في واشنطن . وهو مجموعة رقابية . أن معظم المقاولين السبعين الذين حصلوا على عقود بنحو ثمانية مليارات دولار في العراق وأفغانستان قدموا لحملة بوش الانتخابية أكثر من ٥٠٠ ألف دولار.

وعبر **تشارلز لويس** المدير التنفيذي للمركز عن اعتقاده بأن رائحة محاباة سياسية تفوح من عملية التعاقد سواء في العراق أو أفغانستان.

وأظهر التقرير الصادر أمس أن ٦٠% من الشركات التي حصلت على عقود لديها موظفون أو أعضاء في مجالس الإدارات خدموا في إدارات سابقة أو كانوا أعضاء في الكونغرس أو عملوا في مراكز كبيرة في الجيش.

ونفت شركة بكتل الهندسية الأميركية هٰذه الاتهامات، ووصفت تصريحات من جانب **هنري واكسمان** عضو الكونغرس الذي وجه إليها انتقادات بشكل خاص بسبب عمليات منح العقود في العراق بأنها غير دقيقة ومضللة.

ولٰكنَّ تقريراً من النزاهة العامة قال أمس إن عملية منح العقود لإعمار العراق وأفغانستان تفوح برائحة المحاباة مشيرا إلى أن مجلس إدارة بكتل يضم وزير الخارجية الأسبق **جورج شولتز**»[١٤].

هٰذه هي الفضيحة وليست البداية. فهٰذه العقود تم البدء بإبرامها منذ بداية الاحتلال يوماً فيوم وشهراً فشهر. ولمزيد من التوضيح نورد التقرير الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط في اليوم التالي لتقرير الجزيرة السابق. جاء التقرير تحت عنوان: مقربون من الرئيس بوش يستأثرون بعقود العراق وأفغانستان، وهٰذا التقرير نورده كما هو[١٥]:

«أثار تقرير أميركي نشر أمس العديد من التساؤلات عن مدى نزاهة العقود المعطاة للمقاولين الأميركيين وبقيمة تصل إلى ثمانية مليارات دولار

---

(١٤) . اتهامات لإدارة بوش بالمحاباة في عقود العراق . الجزيرة نت (رويتر) . الجمعة ١٤٢٤/٩/٥هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/٣١م.

(١٥) . مقربون من الرئيس بوش يستأثرون بعقود العراق وأفغانستان البالغة ٨ مليارات دولار . جريدة الشرق الأوسط . لندن . العدد ٩١٠٤ . السبت ٦ رمضان ١٤٢٦هـ . الموافق لـ ١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣م.

والخاصة بعملية إعادة البناء في العراق. وأفاد التقرير أن عدداً من الشركات الاميركية التي حصلت على عقود بمليارات الدولارات في العراق وأفغانستان كانت من كبار المانحين للحزب الجمهوري والرئيس الاميركي **جورج بوش** ويعمل بإدارتها شخصيات مرموقة كانت تعمل من قبل في الحكومة والجيش.

وقال التقرير الذي أعده مركز النزاهة العامة وهو مجموعة رقابية أن أغلب السبعين مقاولاً من الشركات والأفراد الذين حصلوا على عقود تصل قيمتها إلى ثمانية مليارات دولار في العراق وأفغانستان قدموا للحملة الانتخابية للرئيس أكثر بقليل من ٥٠٠ ألف دولار وهو مبلغ أكبر مما حصل عليه أيُّ مرشح آخر في السنين العشر الماضية.

وقال **تشارلز لويس** المدير التنفيذي للمجموعة التي تحقق في قضايا الخدمات العامة والقضايا الأخلاقية (تفوح رائحة محاباه سياسية... من عملية التعاقد سواء في العراق أو أفغانستان).

وقال التقرير الصادر أول من أمس أن ٦٠ في المائة من الشركات التي حصلت على عقود لديها موظفين أو اعضاء في مجالس الإدارات خدموا في إدارات سابقة أو كانوا أعضاء في الكونجرس أو عملوا في مراكز كبيرة في الجيش.

والشركات الفائزة بالعقود عامَّةً لها دور سياسي كبير ورصدت المجموعة مبلغ ٤٩ مليون دولار من التبرعات منذ ١٩٩٠ قدمت من هذه الشركات لأحزاب سياسية أو لجان أو مرشحين. وحصلت لجنة الحزب الجمهوري على ١٢,٧ مليون وحصل الديمقراطيون على سبعة ملايين.

وأظهر التقرير أن ١٤ من ٧٠ متعاقداً حصلوا على أعمال في العراق وأفغانستان بلغت إجمالي إسهاماتهم السياسية نحو ٢٣ مليون دولار و١٣ من هذه الشركات يعمل بها مسؤولون حكوميون سابقون على علاقة وثيقة بالإدارات الحكومية.

وفازت شركة هاليبرتون للخدمات النفطية بواحد من أكبر العقود في العراق والشركة كان يديرها من قبل **ديك تشيني** نائب الرئيس الأميركي الذي ينفى بشدة أي شبهة محاباة.

وحصلت شركة «بكتل» الهندسية على عقود بأكثر من مليار دولار من الأعمال الحكوميَّة الأميركية في العراق ومن أعضاء مجلس إدارتها **جورج شولتز** وزير الخارجية الأسبق.

والجهات الحكومية الرئيسية التي تمنح عقود الأعمال في العراق سلاح المهندسين بالجيش الأميركي والوكالة الأميركية للتنمية الدولية وكلاهما ينفي أي محاباة.

ودافعت **ألين ياونت** المتحدثة باسم الوكالة الأميركية للتنمية الدولية عن عملية منح العقود في الوكالة ووصفتها بأنها نزيهة وتتسم بالشفافية وقالت: إن أغلب القرارات اتخذها مسؤولون ليس لهم تاريخ سياسي.

وحصلت شركة «كيلوج براون اند روت» التابعة لهاليبرتون على ما يزيد على ٣,٥ مليار دولار من العقود العراقية وفقاً لبيانات حصلت عليها رويترز من سلاح المهندسين بالجيش الأميركي منها ١,٦ مليار حصلت عليها بعقد لم يخضع للمنافسة منح للشركة لتقديم دعم امدادي وتمويني للقوات الأميركية.

وقال التقرير كذلك إن زوج مسؤولة كبيرة بوزارة الدفاع الأميركية حصل على عقد من الباطن للعمل في العراق.

وقالت متحدثة باسم **كارول هافي** نائبة مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن والمعلومات لرويترز إن **هافي** لا ترى في عمل شركة زوجها في العراق اي تضارب للمصالح.

ويجري مكتب المحاسبة العام التابع للكونغرس تحقيقا موسعا في عملية منح عقود إعمار العراق ومن المنتظر أن يصدر تقرير أولي خلال الأشهر القليلة المقبلة.

ومن جهتها دافعت شركة بكتل الهندسية بشدة عن أعمالها في العراق وقالت إن المزاعم المتعلقة بحصولها على عقود بسبب المحاباة وتقاضيها أموالا مبالغ فيها من الحكومة واستبعادها لتشغيل العراقيين لا أساس لها من الصحة.

وكانت الشركة الخاصة ترد على ما وصفته بأنه (تصريحات غير دقيقة ومضللة) عن عملها في العراق خاصة من جانب **هنري واكسمان** عضو الكونجرس وهو ديمقراطي وجه إليها انتقادات بشكل خاص بسبب عمليات منح العقود في العراق. وقالت **بكتل**: (هذه الاتهامات ببساطة غير صحيحة. من المهم معرفة الحقائق المجردة بشأن هذه المزاعم). وكانت **بكتل** ترد على التقرير الصادر من مركز النزاهة العامة وهو مجموعة رقابية.

وعلى صعيد آخر يبدو أنه استجابة لتلك الانتقادات قالت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية إنها مددت حتى السادس من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل الموعد النهائي لتقدم الشركات الراغبة بعروضها للحصول على عقد بقيمة ١,٥

مليار دولار لإعادة بناء البنية التحتية بالعراق. وقالت **ألين ياونت** المتحدثة باسم الوكالة أول من أمس إن المهلة مددت من ٣١ أكتوبر لإتاحة الفرصة للشركات الراغبة في الحصول على إجابات عن استفساراتها بخصوص العقد. وفي الشهر الماضي أعلنت الوكالة مناقصة بقيمة ١,٥ مليار دولار للمساعدة في إعادة بناء البنية الأساسية للعراق عندما ينفد التمويل المخصص لعقد حصلت عليه شركة بكتل الهندسية. وحصلت بكتل على العقد المبدئي بقيمة ٦٨٠ مليون دولار الذي رفعت قيمته فيما بعد إلى ما يربو على المليار دولار لتنفيذ مشروعات مثل إصلاح شبكات الكهرباء وجسور وإصلاح شبكة المياه وإعادة بناء مدارس.

وقال **أليسون أبوت** المتحدثة باسم بكتل: (إن الشركة تبحث بجدية ما إذا كانت ستتقدم بعرض للحصول على العقد الجديد)».

انتهى تقرير الشرق الأوسط. وفيما قدمناه حتى الآن ما يكفي لإلقاء ضوءٍ على العهر الأمريكي اللامحدود. في قسم منه غير قليل لا يختلف عن عهر الاستعمار، ولكن في قسم منه غير قليل أيضاً عهر غير مسبوق.

١٠ أغرب جواب على اعتراض

في الحادي عشر من نيسان ٢٠٠٤م، إثر المجازر الهائلة الَّتي ارتكبها الجيش الأمريكي في العراق وخاصة في الفلوجة الَّتي حظيت وحدها بالاهتمام الإعلامي فيما تم التعتيم على المجازر الَّتي ارتكبت في المناطق الأُخْرى طيلة الأسبوع الماضي...

إثر هذه المجازر الَّتي نقلت نقلاً حيًّا على مختلف المحطات التلفزيونية، سئل **مارك كيميت** نائب مدير عمليات الجيش الأمريكي في العراق عن رأيه أَو تعليقه على هٰذه الصور الَّتي نقلتها الفضائيات الَّتي تبين ارتكاب الجيش الأمريكي المجازر وقتل الأبرياء... فقال ببرودٍ حقيرٍ، واحتقارٍ لكلِّ العقول والقيم والأخلاق:

. «الأمر بسيط... غير المحطة الَّتي تشاهدها...».

وأضاف: «المحطة الَّتي تقول إن الجنود الأمريكيين يقتلون الأبرياء محطة كاذبة»!!!...

نقل مباشر وشبه مباشر للمجزرة، يفقأ عين أي جاحد أو منكرٍ. ومع ذَلكَ يقول **مارك كيميت**: المحطة التي تقول ذَلكَ كاذبة. بل بوقاحة منقطعة النظير يقول: «غير المحطة التي تشاهدها». هٰذه ليست فلسفة مارك كيميت شخصيًّا، هٰذه الفلسفة الأمريكية في التعامل بالمطلق، وفي الحرب على العراق منذ بدايتها. هٰذه الفلسفة التي تقوم على ثلاثة محاور هي:

. حصر مصادر المعلومات بالإدارة الأمريكية، والإدراة الأمريكية هي إدارة الاستخبارات الأمريكية ومركز صناعة القرار الأمريكي.

. نقل المعلومات التي تريدها فقط الإدارة الأمريكية، المعلومات كم متدفق في أي مجال وميدان، والإدارة الأمريكية حريصة على عدم نقل أي شيء، وعدم السماح بتداول أي معلومة لا تريد الإدارة الأمريكية تداولها أو انتشارها.

. التضليل الإعلامي بالكذب والفبركة من أجل صوغ الرأي العام الداخلي والخارجي وفقط ما يخدم مصالح السياسة الأمريكية.

هٰذه المحاور الثلاث ليست جديدة على الإطلاق، إنها قديمة وقديمة جدًّا. ولذَلك لا غرابة أن نجد كتاباً منذ السبعينيات يحمل عنوان غزو العقول(١٦)، يكشف بمعنى من المعاني عن هٰذه المحاور الثلاث. وهٰذا في حقيقة الأمر موضوع يستحق وقفات كثيرة وطويلة. نعرض في هٰذه

(١٦) . إيف أود: **غزو العقول؛ جهاز التصدير الثقافي الأمريكي إلى العالم الثالث** . ترجمة غسان إدريس . دار البعث . دمشق . ١٩٨٥م.

العجالة تقريراً عن تذمر وسائل الإعلام الأوروبية، شريكة الولايات المتحدة، من القيود الأمريكية على الصحافيين. هٰذا التقرير مصدره رويترز، نشره موقع الجزيرة نت جاء فيه:

«احتج اتحاد الإذاعات الأوروبيَّة اليوم على القيود التي قال إنَّ الجيش الأميركي يفرضها على الصحافيين الذين يحاولون تغطية الحرب في العراق.

وقال الاتحاد، وهو رابطة تضم الإذاعات الحكومية والتجارية وتشمل هيئة الإذاعة البريطانية BBC ومحطة CNN الإخبارية والقناة الإيطالية والفرنسية والألمانية، إنَّ القوات الأميركية والبريطانية تجبر الصحفيين على الرحيل في حالة عدم مرافقتهم لجنودها في جنوب العراق.

واعتبر الأمين العام للاتحاد **جان ستوك** في بيان صدر بالكويت أن (سياسة القيادة المركزية الأميركية الآن هي منع عمليات جمع الأنباء بشكل مستقل من جنوب العراق).

وأضاف **ستوك** أنَّ الاتحاد لاحظ أن هذه المعاملة تستهدف على وجه الخصوص هيئات إعلامية من دول لا تشارك قواتها في غزو العراق. موضحاً أن هذه السياسة عرضت بعض أطقم التصوير للخطر في جنوب العراق لأنهم لجأوا إلى مباشرة أعمالهم بشكل سريٍّ، مؤكِّداً أنَّ الصحافيين الآن عرضة لخطر أكبر حيث تستهدف قوات التحالف طبيعة تغطيتهم للأخبار[١٧].

وتابع البيان أن الاتحاد رحب في بادئ الأمر بقرار الجيش الأميركي بمرافقة وحدات بعينها للصحفيين لتغطية أخبار الجبهة، ولكنَّهُ قال إنِّ عدداً محدوداً من

(١٧) . سنعود إلى استهداف الصحافيين لاحقاً.

الصحافيين الأوروبيين فقط هم الذين حظوا بما يسمى التغطية الإعلامية المكثفة مع الوحدات الأميركية والبريطانية.

وفي رد على الشكوى قالت متحدثة عسكرية أميركية إنَّها لا تعلم شيئاً عن إجبار صحفيين على العودة إلى الكويت، فيما ذكر ضابط بريطاني في الكويت عندما أبلغ بشكوى الاتحاد أن جنوب العراق لا يزال منطقة غير آمنة.

وأشار الكولونيل **كريس فيرنون** أن (أرض المعركة ليست آمنة). وحذر الصحفيين من أنَّهُ ليس من مصلحتهم التوجه إلى المناطق السَّاخنة»[١٨].

يفترض أن يشكر الصحافيون حرص الأمريكيين على حياتهم. ولكن يبدو أن كذبهم صريح ولذلك أعلنوا تذمرهم واستياءهم، بل وصدر ذلك عن أعلى مؤسسة إعلامية أوروبية.

على أي حال، كما أشرنا، مسألة محاصرة حرية الحركة والرأي والتصوير والتعبير مسألة طويلة عريضة فيها الكثير الكثير مما يستحق الوقوف عنده، وهذا ما سنعمل عليه في عجالات مماثلة لاحقة.

(١٨) . الإذاعات الأوروبية تشكو القيود الأميركية على الصحفيين . الجزيرة نت (رويترز) ـ الخميس ١٤٢٤/٢/١هـ الموافق ٢٠٠٣/٤/٣م.

١١ قتل الشاهد

في إطار التضليل الإعلامي وفرض المعلومة التي تريدها أمريكا على المشاهد بالطريقة التي تريدها أمريكا وتناسب أمريكا وفبركة القصص والأحداث بما يتناسب مع الاتهامات التي تريد ترويجها الإدارة الأمريكية... نجد أنفسنا أمام سلسلة تكاد تكون غير منتهية من الموضوعات التي تستحق الوقوف عندها. ولذلك لا ندعي أننا نعرِّي التضليل الإعلامي الأمريكي من خلال بعض مقالات صغيرة أو كبيرة. نحن نلقي ضوءاً صغيراً فقط.

في هٰذا المقال سنقف عند مقطع ليست الولايات المتحدة مختصة به، بل يمارسه الكثيرون. هٰذا المقطع هو قتل الشاهد.

من يقتل الشاهد؟

لم نجد عبر التاريخ في أي نوع من الأدبيات من يقوم بقتل الشاهد غير المتهم، المدان، الضعيف، الذي يريد الهروب من الجريمة... أمَّا البرئي، الصادق، القوي بحق، حَتَّى القوي بفجور لا يفعل ذَلكَ.

الولايات المتحدة الأمريكية ماست قتل الشاهد بكل الأنواع والوسائل والسبل، أي إنَّها تعبِّر تعبيراً صريحاً مباشراً عن ضعفها، عن اعترافها بجريمة تريد إخفاءها والهروب منها، مهما كانت ذرائعها لتسويغ فعلتها، ولا بُدَّ أن تحاول تسويغ فعلتها بما استطاعت من قدرة على التذرع.

حَتَّى نفهم أكثر حقيقة قتل الشاهد يجب أن ندرك حقيقة أنَّ السياسة الأمريكية تقوم على التضليل الإعلامي، تقوم على السيطرة على وسائل اعلام والمعلومات المنشورة، خاصَّو فيما يتصل بمشاريعها، فهي تسعى قدر ما تستطيع منع أيِّ رأي آخر من الظهور، ووضع كل الإعلاميين تحت سيطرتها، ثُمَّ أخيراً قتل الصحافيين الذين يخرجون عن إرادتها.

من أشهر حالات قتل الشاهد التي عرفناها في العدوان على العراق كان قتل مصور الجزيرة يوم الأربعاء ١٣/ ٨/ ٢٠٠٣م، وقتل مصور وكالة أنباء يوم الأحد ١٧/ ٨/ ٢٠٠٣م. وقصف مقر قناة الجزيرة في كابول عام ٢٠١١م إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان، وقصف مقر قناة الجزيرة في العراق ٢٠٠٣م إبان الغزو الأمريكي للعراق.

صحيح أنَّهُ لهذه أشهر الشواهد. إلاَّ حالات قتل الشاهد على أيدي الأمريكين أكثر من ذَلكَ بكثيرٍ. حَتَّى إنَّ منظمة مراسلين بلا حدود أكدت في

تقرير لها أنَّ «الحرب العراقية هي الأكثر فتكاً بالصحافيين منذ الحرب العالمية الثانية»[١٩].

تخيلوا أن الحرب العالمية الثانية بسنواتها الخمس تقريباً واشتراك كل دول أوروبا وبعض دول آسيا وأفريقيا فيها... ضحاياها كلها من الإعلاميين تقارن بضحايا الجيش الأمريكي في غزو العراق!!!

في اليوم التالي لإصدارها التقرير، أي في الثلاثاء ٢٠٠٦/٣/٢١م أقامت مراسلون بلا حدود بباريس احتفالاً كرمت به ضحايا العدوان الأمريكي على العراق من الإعلاميين. كرمت ستاً وثمانين إعلاميًّا قتلوا في العراق منذ بدء الغزو... إن لم يكونوا كلهم فمعظمهم قتلوا على يد الجيش الأمريكي، بل استهدفوا استهدافاً بأسلحة الجيش الأمريكي.

قتل الشاهد هٰذا ليس مصادفة... إنه مخطط، ممنهج، مدروس، بل مدروس بعناية ودقة وعلى أعلى المستويات... أعلى المستويات يعني الرئيس الأمريكي ذاته بل ومعه رئيس الوزراء البريطاني الحليف الشريك. ففي عددها الصادر في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥م نشرت صحيفة الديلي ميرور البريطانيَّة على صفحتها الأولة مقتطفات من وثيقة بريطانية سرية تؤكِّد أنَّ **جورج بوش الابن** أطلع رئيس الوزراء البريطاني **طوني بلير** في اجتماع لهما[٢٠] على خطة لضرب مكاتب قناة الجزيرة الفضائية في قطر وخارجها بالصواريخ والمتفجرات. وعلى الفورة أصدرت

(١٩) . أصدرت هٰذا التقرير بباريس يوم الاثنين ٢٠٠٦/٣/٢٠م.

(٢٠) .كان الاجتماع حسب الوثيقة في البيت الأبيض بتاريخ ١٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٤م.

الحكومة البريطانية تعليماتها وتحذيراتها بعدم نشر أي معلومات إضافية عن هٰذا الخبر.

أمريكا لا تمزح. أمريكا تزعم أنَّها لا تخطي. هي في هٰذا المجال لا تخطئ. إنها تعرف ماذا تفعل. ولنعد إلى بداية العدوان على العراق وكيف حصرت مل الإعلاميين في مكان واحد من قاعدة السيلية بقطر ولم تيمح لهم بدخول أرض المعركة، ولا نشر المعلومات من أي مصدر، وصار الناطق الإعلامي باسم التحالف هو الذي يعطيهم الأخبار، وما حدث وما صار، وكل ساعة انتصار... وفجأة اكتشفوا كذب كل الأخبار، فانفلتت الأمور وخرج الإعلاميون عن السيطرة... فكان لا بُدَّ من معاقبتهم.

١٢ اعترف بكذبك ولا تتراجع

كما أشرنا غير مرَّة فإنَّ التضليل الإعلامي الأمريكي نبع لا ينضب. التضليل الإعلامي بكلِّ مستوياته وأنواعه واتجاهاته. وكثير من الأمريكيين أدركوا هٰذه الحقيقة، وبعضهم انتقدها، من أقلِّ هٰذه الانتقادات حدَّةً قول المفكِّر الأمريكي **جراهام فولر**: «وسائل إعلامنا الأمريكيَّة لا تقدِّم لنا المعلومات الكافية عما يدور في العالم[٢١]. ولٰكنَّ اليهودي الأمريكي نعوم تشومسكي دبَّج في ذٰلكَ مقالات وأبحاثاً، وغيره كثير. ليس موضوعنا هنا سرد منتقدي التضليل الإعلامي الأمريكي على أي حال، موضوعنا التَّضليل الإعلامي الأمريكي ذاته الذي تحدثنا فيه غير مرة، والموضوعات التي تستحق إلقاء الضَّوء عليها غير قليلة كما أشرنا مراراً.

(٢١) . جاء هذا الكلام في برنامج حوار مفتوح أجرته معه قناة الجزيرة الفضائية يوم السبت ٣/٢٥/ ٢٠٠٥م.

من أخطر الكذبات الأمريكية على الإطلاق في القرن العشرين إلى مطالع القرن الحادي والعشرين التي سوِّقت بتضليل إعلامي كبير ومدروس كذبة أسلحة الدمار الشامل العراقية. نحو اسني عشرة سنة ولجنة المراقبين الدوليين تجوب أنحاء العراق بحثاً وتفتيشاً عن كل أنواع الأسلحة وليس فقط أسلحة الدمار الشامل المزعومة، حَتَّى دخلوا وفتشوا القصور الرئاسية ذاتها، ولم يجدوا شيئاً من تلك المزاعم، ولا دليلاً على وجودها[٢٢]، ومع ذَلكَ ظلت الولايات المتحدة تكرر الأكذوبة بكل وقاحة، حَتَّى بعد أن قدَّم العراق اثنتي عشر ألف ويقة عن كل برامج تسليحه تؤكد براءته من هٰذه الاتهامات. حَتَّى بعد ذَلكَ كله حمل وزير الخارجية الأمريكية **كولن باول** حقيبته الدبلوماسية ووقف أمام أعضاء مجلس الأمن في جلسة الخميس ٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٣م وراح يقنعهم بوثائق تشبه الطلاسم ويقول له: هٰذه صور الأقمار الصناعية، هٰذه مواقع تصنيع الكيماوي، هٰذه وهٰذه... وختم أكثر من ساعة من الكذب بقوله: «زملائي، قبل ثلاثة أشهر اعترف هٰذا المجلس بأن **صدام حسين** يستمر في تشكيلٍ خطرٍ على السَّلام والأمن الدوليين، وأنَّ العراق كان وما يزال يخرق التزاماته بنزع أسلحته. ويشكل العراق اليوم تهديداً، والعراق ما زال في حالة خرق مادي. والحقيقة، أنَّ العراق بإخفاقه في انتهاز فرصته الوحيدة الأخيرة للخروج نظيفاً ونزع أسلحته، وضع نفسه في حالة خرق مادي أعمق وأقرب إلى اليوم الذي سيواجه فيه تبعات خطيرة لتحديه المستمر لهٰذا المجلس... لقد صغنا القرار ١٤٤١ ليس لكي

(٢٢) . للتوضيح اتهم نظام صدام حسين بارتكاب مجزرة الكيماوي في حلبجة وثبت عدم وجود سلام كيما في العراق على الإطلاق. فمن ارتكب المجزرة إذن؟ الكل يريد التعتيم على التسريبات التي أكدت أن إيران هي من ارتكب هٰذه المجزرة، الكل يريد إدانة صدام حسين تحديداً. سنعود إلى ذَلكَ في خاتمة المقال.

نـذهب إلى الحـرب؛ صـغنا القـرار ١٤٤١ لكـي نحـاول المحافظـة علـى السـلام. وصغنا القرار ١٤٤١ لكي نعطي العراق فرصة واحدة أخيرة. والعراق حَتَّى الآن لم ينتهـز تلـك الفرصـة الوحيـدة الأخـيرة. فعلينـا ألا نتخلـف عـن القيـام بواجبنـا وبمسؤوليتنا تجاه مواطني بلادنا الممثلين بهذه الهيئة»(٢٣).

وماذا حدث بعد ذَلكَ؟

لم يقتنع مجلس الأمن بصيغة أو أخرى بضرورة أن يكون احتلال العراق تحت غطاء الأمم المتحدة، فمضت أمريكا وحلفاؤها الأوروبيون والعرب إلى احتلال العراق لتطبيق (الشرعية الدولية)، وراح الأمريكيون يبحثون عن كل شيء إلا عن أسلحة الدمار الشامل، لأنهم يعرفون أنَّها غير موجودة. وعندما سئل وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** من أحد الصحافيين عن أسلحة الدمار الشامل التي احتلوا العراق من أجلها أجاب بوقاحة وفجور غير مسبوقين قائلاً: «إذا كان المفتشون الدوليون المختصون لم يجدوا أسلحة الدمار الشامل في العراق فكيف لنا أن نستطيع ذَلكَ؟!»(٢٤).

طالما أنكم تعرفون أن لجان التفتيش لم تجد شيئاً وتعترفون بذَلكَ فلماذا إذن كل هٰذا الكذب والفبركة والتضليل؟

حسناً، ها قد تبين كذبكم وخداعكم باعترافكم، فماذا أنتم فاعلون لتصححوا خطأكم؟ لقد دمرتم دولة من أعرق دول الأرض حضارة وتاريخاً

(٢٣) . انظر نص الخطاب الكامل لوزير الخارجية الأمريكي كولن باول أمام مجلس الأمن. جريدة الشرق الأوسط . العدد ٨٨٣٧ . الجمعة ٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٣م.

(٢٤) . كان هٰذا جواب رامسفليد في ٢٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣م، على سؤال صحافي لماذا لم يجد الجيش الأمريكي السلاح الكيماوي بعد.

وتراثاً، فماذا ستفعلون؟ لقد استقال **كولن باول** احتجاجاً على نفسه وكذبه وخداع وتضليله، وقال: المخابرات ضللتني. فهل يكفي ذلكَ؟!

هذا الاعتراف ليس جديداً، ولم يبتعد كثير عن فقد كان في وقت مبكر. فإذا كان رامسفيلد قد اعترف بسخرية فإن فضيحة الاعتراف الأمريكي لم تبتعد كثير. نشر موقع الجزيرة نت تقريراً بعنوان: واشنطن ولندن تعترفان بتلفيق اتهامات ضد صدام. هذا التقرير منقول عن عدد من وكالات الأنباء العالمية، والصحافة الأمريكية، جاء فيه[٢٥]:

«ذكرت مصادر صحفية أمريكيَّة أنَّ الإدارة الأمريكية أقرَّت لأوَّل مرَّةٍ بعدم صحة المعلومات الاستخبارية التي استند إليها الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** في مزاعمه بأنَّ العراق سعى إلى شراء اليورانيوم من أفريقيا لاستخدامه في برنامجه للأسلحة النووية. وقالت صحيفة واشنطن بوست إنَّ هذا الاعتراف جاء عقب نشر لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم البريطاني تقريرا أثار الشكوك إزاء مصداقية المعلومات الاستخبارية البريطانية التي استند إليها **بوش الابن** في إطار جهوده لإقناع الكونجرس بأنَّ العراق كان يشكل خطراً على أمن الولايات المتحدة.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولٍ بارزٍ في الإدارة الأمريكيَّة أنَّهُ كان ينبغي عدم الإشارة إلى محاولة العراق الحصول على اليورانيوم من أفريقيا في خطاب **بوش** عن حالة الاتحاد في يناير/ كانون الثاني الماضي.

---

(٢٥) . واشنطن ولندن تقران بتلفيق اتهامات ضد صدام . الجزيرة نت (وكالات) . الثلاثاء ١٤٢٤/٥/٩هـ الموافق ٢٠٠٣/٧/٨م.

وما يزال الرئيس **بوش** يواجه اتهامات بالتلاعب بتقارير الاستخبارات للحصول على مبرر ودعم دولي لشن تلك الحرب. وكانت آخر هذه الاتهامات تلك التي وجهها الدبلوماسي الأمريكي السابق **جو ويلسون** الذي كان مسؤولاً عن التحقق من ادعاءات بشأن حصول العراق على يورانيوم من النيجير. وقد أكَّد **ويلسون** أنَّ تلك الادعاءات لم تكن صحيحة، واتهم البيت الأبيض بالكذب لشن الحرب على العراق. وكانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية أبلغت مجلس الأمن الدولي في مارس/ آذار الماضي أن الإشارة إلى محاولة العراق الحصول على اليورانيوم من أفريقيا تستند إلى وثائق مزورة.

وفي السياق ذاته اعترف رئيس الوزراء البريطاني **طوني بلير** بعلمه بأنَّ هناك معلومات غير صحيحةٍ أوردت في التقرير الذي قدمته حكومته إلى البرلمان عن الأسلحة العراقية. ورفض **بلير** في استجواب أمام لجنة برلمانية الإجابة على سؤال عن موقفه إذا لم يتم العثور على أسلحة تدمير شامل في العراق، واكتفى بالقول إنَّهُ واثق من وجود تلك الأسلحة. وقال **بلير** إنَّهُ لم يناقش مع الرئيس الأمريكي في القمة التي عقدت بينهما في كامب ديفد تفاصيل الحرب على العراق لأنهما كانا متفقين على أن الحرب لن تقع إذا تم حل المسألة في الأمم المتحدة».

عوداً على بدء الكيماوي والجريمة التي اتهم بها العرق في حلبجة. فقد بات واضحاً الآن أنه لا يوجد كيماوي في العراق. فلماذا اتهم العراق بارتكاب مجزرة حلبجة؟ ومن هو الفاعل؟

لماذا اتهم بها **صدام حسين**؟ الأمر سهل ويسير، فإن جوقة الفجور عندما تريد أن تشيطن أحداً تلبسه كل الرذائل والجرائم التي تصل بها إلى الشيطنة المطلوبة، كما حدث مع القاعدة منذ ما قبل نشأة القاعدة. وهذا أمر **صدام حسين** ومجزرة حلبجة.

أما من ارتكب المجزرة فقد تداولت بعض وكالات الأنباء على نحو محدود سرعان ما تم التعتيم عليه تصريحاً خطيراً أدلى به **خليل الدليمي** محامي **صدام حسين** عندما قال: «عرضت علينا إيران مئة مليون دولار مقابل عدم نشر وثائق تثبت أن إيران هي التي ضربت حلبجة». وفيما يلي ما نشرته صحيفة الأنباء الكويتية في الموضوع(٢٦):

«بغداد وكالات: حمَّل **خليل الدليمي** محامي **صدام حسين** إيران مسؤولية مجزرة حلبجة التي فيها فيها أكثرمن ٥ آلاف كردي عراقي.

وأكد **الدليمي** أنَّهُ يمتلك وثائق وأدلَّة قاطعة على أنَّ الذي ضرب حلبجة هو الجيش الإيراني بغاز السانيد، الذي لا تملكه أي دولة بالشرق الاوسط. وشدَّد **الدليمي** على أنَّ هذه الوثائق ملك هيئة الدفاع، وقال: لا نستطيع البوح عن أيٍّ منها الآن، مشدِّداً على أنَّها وثائق قانونيَّة، ولكنَّهُ رفض تأكيد ما إذا كانت (أوراقاً مكتوبةً أم أشرطة تسجيليَّة، كما رفض تحديد المكان الذي كانت هذه الوثائق فيه).

(٢٦) . خليل الدليمي: عرضت علينا إيران ١٠٠ مليون مقابل عدم نشر وثائق تثبت أن إيران هي التي ضربت حلبجة . صحيفة الانباء الكويتية . ٢٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٦م.

وقال **الدليمي**: إنَّ السلطات الإيرانية التقت المحامي **حاتم شاهين** وبعض أعضاء هيئة الدفاع عن **صدام** في باريس وعرضت عليهم ١٠٠ مليون دولار مقابل عدم التحدث عن قضية حلبجة وإلقاء ذلك على عنق مجاهدي خلق.

وقال **الدليمي**: المخابرات الأمريكية أرسلت فريقا بقيادة أحد الجنرالات، ولا أريد أن أذكر اسمه، وهذا الجنرال كان مسؤولا في الشرق الاوسط وإيران وقام بأخذ عينات من التربة والزرع والمصابين وقام بتحليلها وتبين له أن غاز السانيد هو المستعمل وكما هو متعارف عليه أن العراق لا يملك هذا الغاز».

١٣ أمريكا والتضليل الإعلامي

من الصعوبة بمكان الادعاء بأن أمريكا على رأس منتهكي حقوق أو حرية الصحافة في العالم. ولٰكنَّ الأكيد أنَّ الولايات المتحدة تحتل مرتبة مرموقة في ذٰلكَ.

أرجو أن لا ننظر إلى الموضوع نظرة مبتورة ولا موتورة. الشعب الأمريكي يظن أنَّهُ يعيش مطلق الحرية الإعلاميَّة. رُبَّما يظنُّ ذٰلكَ. ولٰكنَّ الحقيقة ليست كذٰلكَ أبداً، ليس في هٰذه السنوات الأخيرة وحسب، بل من زمن بعيد. السؤال الذي يجب طرحه: هل تعرض وسائل الإعلام الأمريكية كل شيء على المواطن الأمريكي وتترك له حرية الاختيار؟ هل يعلم المواطن الأمريكي حقيقة ما يدور في العالم؟ إطلاقاً. هٰذه هي الحقيقة. هٰذا الكلام كما ذكرت ليس بسبب الأحداث الأخيرة وإنما عبرات عشرات السنين المنصرمة التي تمتد إلى قرن على الأقل.

على أيِّ حال، في الآونة الأخيرة زادت الانتهاكات الأمريكية لحرية الصحافة، وخاصة فيما يتعلق بصحة المعلومات الواردة من العالم العربي والإسلامي. وفيما خلا ذَلكَ فالأمور يسيرة.

في أواخر ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥م دشن جورج بوش الابن حملة جديد لتقييد وسائل الإعلام، في خطابه عن حالة الاتحاد التي يعرض فيها خطوط برنامجه لولايته الرئاسية الثانية. وقد رأى المراقبون أنَّ هٰذه الحملة هي أول تدخل مباشر من الرئيس في قضية حساسة تتعرض للحريات عامَّةً وحرية التعبير والصحافة والإعلام على نحوٍ خاصٍّ التي ما فتئ يزعم حرصه عليها وتمسكه بها.

وفي تصريحات إذاعتها في يوم الخطاب ذاته قناة (سي سبان الأميركية دعا بوش الابن إلى إخضاع شركات الإنتاج الإعلامية للمحاسبة عن البرامج التي تتخطى الحدود، وطالب الآباء بإغلاق التلفزيون عند بث برامج غير لائقة. وفي الوقت ذاته عزف على وتر المحتوى والسلوك والمسؤولية فقال: «يجب أن يكون هناك توازن بَيْنَ حقوق التعبير وبَيْنَ الحاجة لإخضاع هٰذه الشركات للمحاسبة».

وفي مطلع الشهر السابع عام ٢٠٠٥م قررت الإدارة الأمريكية استمرار احتكار السيطرة على مخدمات الإنترنت حتى تظل كل معلومات النت تحت سيطرتها وحدها. وقد ذكرت صحيفة الچارديان البريطانية في ٢٠٠٥/٧/٢م أنَّ « إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قد اتخذت قراراً بالاحتفاظ بالسيطرة على أجهزة الحاسبات المركزية العالمية التي تتحكم في حركة مرور الإنترنت».

يأتي هذا القرار بعدما كانت الولايات المتحدة قد تعهدت بنقل السيطرة على الحاسبات المركزية البالغ عددها ١٣ والمعروفة باسم (السيرفرات الأساسية)

التي توجّه حركة مرور الإنترنت، إلى هيئة دوليَّة خاصَّة. إلا أنَّها قد عدلت عن موقفها وأخلفت وعدها يوم الخميس الماضي وأعلنت أنها ستحتفظ بالسيطرة على تلك الحاسبات، مبررةً ذَلكَ بتصاعد التهديدات الأمنية، والاعتماد المتزايد على الإنترنت في الاتصالات العالمية. مستبقة في ذَلكَ اجتماع لجنة تابعة للأمم المتحدة لإعلان تقرير لها حول التَّحكم بالإنترنت(٢٧).

هٰذان الأمران كلاهما مفتاحٌ لا أكثر لفهم عقلية الإدارة الأمريكية في التَّحكُّم بالمعلومات وطريقة نشرها ومدى ما يُسمح بنشره من المعلومات. ولذَلك لن يكون مستغرباً أبداً أن توضح الولايات المتحدة على لائحة منتهكي حرية الصحافة(٢٨)، بل الغريب أن لا توضع. ولٰكن أن تصل الجرأة إلى وضعها الولايات المتحدة إبراطورة العالم على هٰذه اللائحة فلهذا الأمرة دلالات خطيرة.

في أواخر عام ٢٠٠٤م نشرت الجمعية الأميركية للصحافة تقريراً يُدرج الولايات المتحدة على لائحة الدول التي تنتهك حرية الصحافة في القارة الأميركية. وركز التقرير على سجن الصحافيين الذين يرفضون الكشف عن مصادرهم. وأشارت الجمعية إلى ملاحقة جوديث ميلر الصحافية في نيويورك تايمز بسبب رفضها الكشف عن مصادرها. وكذَلكَ الحكم على ماثيو كوبر الصحافي في مجلة تايم، بالسجن ثمانية عشر شهراً، وتغريمه ألف دولار للسبب نفسه.

---

(٢٧) . تاريخيًّا الولايات المتحدة هي أبدعت الإنترنت وتفردت بوجوده عندها وحدها سنوات قبل نقله إلى الحيز العالمي.

(٢٨) . للأمانة قليل من دول العالم يمكن أن تنجو من عدم وضعها على لائحة منتهكي حرية الإعلام إذا أردنا أن نطبق معايير الحرية عليها.

الأمر كما أشرنا لا يتوقف هنا، ومشاهد التضليل الإعلامي الأمريكي، وانتهاك حرية الرأي والتعبير متنوعة كثيرة. الولايات المتحدة التي تدعي الحرية والحرية الإعلامية والديمقراطية تمارس رقابة شديدة على الإعلام وتمنع نشر. ومن ذَلكَ على سبيل المثال احتجاج الولايات المتحدة الأمريكية على تقرير التنمية البشريَّة العربيَّة لعام ٢٠٠٤م، وتهديدها بوقف مساهمتها في هٰذا البرنامج التي تبلغ ٧٠% من الموازنة. قال الدكتور نوري فرحات عضو الفريق المسؤول عن إعداد التقرير الثالث، وكذلك الدُّكتور نادر فرجاني المحرر الرئيسي للتقرير: «إنَّ الولايات المتحدة احتجَّت على ما تضمَّنه التقرير من إدانة للممارسات العنصرية لسلطات الاحتلال الصهيونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ومن انتقادات للاحتلال الأمريكي للعراق»[٢٩].

أليس في ذلك تضليلاً إعلاميًّا وفرض معلومات محددة على المتلقي؟؟؟!؟!

تعالوا ننظر إلى الشفافية الأمريكية من جهة أخرى. بعد حملة التشهير بالممارسات الأمريكية الشنيعة بحق المعتقلين المسلمين في چوانتانامو وجهت وزارة الدفاع الأمريكية يوم السبت ٢٠٠٥/١٠/٢٩م دعوة إلى المختصين من دول العالم لزيارة معتقل چوانتنامو، وسمحت بتوجيه أيِّ سؤال إلى أيِّ مسؤول في معتقل چوانتنامو... ولٰكن شريطة عدم لقاء أي معتقل!!!

---

(٢٩) . ورد ذلك في لقاء على محطة الجزيرة في برنامج بلا حدود في فترة الضغوط الأمريكية لمنع نشر التقرير مع هذه الانتقادات. وقد أصر فريق الباحثين المؤلف من خمس وعشرين باحثاً على نشر التقرير باسمهم هم حَتَّى لا يحذفوا الانتقادات، واجتمعوا لهذا الشأن ببيروت ما بَيْنَ ٢٦ و٢٠٠٤/١٢/٢٨م. ومع ذلك استمرت الضغوط من أجل حذف الانتقادات ونشر التقرير باسم البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. ولذلك لم يصدر التقرير حَتَّى الآن (آذار٢٠٠٥م).

ماذا يمكن أن نسمي ذَلكَ؟

هل يريد المحققون التحقق من صدق كذب من يعذب المعتقلين أم يريد أن يتحقق من صدق ادعاء الذين يتعرضون للتعذيب؟

مشهد آخر من مشاهد الهجوم على نقل الحقائق إلى الجمهور نجده في تقرير موقع وزارة الخارجية الأمريكية في منتصف عام ٢٠٠٥م تهاجم فيه عدة مجموعات تعمل على نشر أخبار المقاومة العراقية. حمل التقرير عنوان: (كيف نتعرف على المعلومات المضللة) (٣٠). تخيلوا معي جيداً كيف غداً نشر الحقيقة هو المعلومات المضللة، والتَّضليل هو الحقيقة!!! وجاء في التَّقرير: «هناك مواقع غامضة على الإنترنت تلعب دوراً رئيساً في نشر المعلومات المضللة»، مواقع غامضة؟! يا إلهي! لعَلَّها من كواكب أخرى تريد أن تغزو الأرض. بل يتابع التقرير قائلاً، وكأنه يؤكد أن من يكتب هٰذه التقارير كائنات فضائية مجهولة: «إنَّ أفراداً غير معروفين تضافروا على نشر معلومات مضللة عمداً، وعلى الأخص حول ما تقوم به الولايات المتحدة في العراق».

وحَتَّى توغل الخارجية الأمريكية في تحطيم مصداقية هٰذه المعلومات توجهت إلى الشماعة صنعتها فقالت: «يبدو أنَّ مصدر معظم تلك المعلومات المضللة هو مفكرة الإسلام، وهو موقع على الإنترنت باللغة العربية مؤيد للقاعدة وللمتمردين العراقيين». أي شيء تريد تحطيم مصداقيته تنسبه إلى الإرهاب، إلى القاعدة... هٰذه هي العادة، ولن تتغير هٰذه العادة.

(٣٠) . تقرير وزارة الخارجية الأمريكية: كيف نتعرف على المعلومات المضللة. ٢٠٠٥/٥/١٣م.

وفي الفترة ذاتها نشرت السفارة الأمريكية في تركيا تقريراً تهاجم فيه تقارير المقاومة العراقية التي تنشر حقائق الاحتلال الأمريكي للعراق وممارساته. أمريكا تريد القول إن كل ما لا تقرر هي نشره فإنه غير صحيح، حَتَّى ولو كان قولها باطل واضح وكان ما لا تقرر عين الحقيقة بوضوح.

ولذلك لا تعجبوا أن يعنى الرئيس الأمريكي ذاته بحملة تحسين صورة أمريكا لدى العالم الإسلامين، والقيام بحملة « مواجهة الدعاية الكارهة (وإظهار الحقيقة)»، هٰذه الحملة التي كلف من أجلها الصحافية كارين هيوز المقربة منه شخصيًّا، والمصرية الأصل دينا حبيب باول التي تتولى منصب مساعدة وزيرة الخارجية، وقد ناقش الكونچرس هٰذه الخطة واعتمدها.

هنا تنتهي بعض ملامح أو مشاهد التضليل الإعلامي الأمريكي. المشاهد كما قلت كثيرة، تحتاج موسوعات لا مقالات. وقفنا فيما سبق عند بعضها، ولا بُدَّ أن نعود إلى مشاهد ومواقف أخرى.

١٤ الإبادة عادة

الإبادة عند الأمريكيين عادة عبارة صحيحة دقيقة لا مبالغة فيها. ترجع لهذه العادة إلى نشأة أمريكا، الولايات المتحدة تحديداً، وإلى الآن، فهي تقريباً إلى جانب كنداً الأوروبية الوحيدة في القارة الأمريكية بشقيها.

منذ وضع الأوروبيون أقدامهم على أرض القارة الأمريكية شنوا حملة إبادة لمن سموهم الهنود الحمر، سكان القارة الأمريكية الأصليون. شنوا حرب إبادتهم لما لم يستطيعوا استعبادهم، ولم يستطيعوا التعايش معه. كان حملة إبادة بكل ما تحمله الحكلمة من معنى. هي ليست إبادة عشرات أو مئات أو آلاف... هي إبادة عشرات الملايين. فبعد نحو خمسمئة سنة من السيطرة الأوروبية على أمريكا أبيد نحو ستين مليون أمريكي أصلي.

تشير التقديرات الأمريكية المنحازة للأوروبيين إلى أنَّهُ من أصل مئة مليون هندي أحمر في القارة الأمريكية لم يبق أكثر من خمس وأربعين مليون في أحسن التقديرات... هٰذه المئة مليون عبر مئات السنين هٰذه يفترض أن تكون وصلت إلى مئات الملايين، ولٰكنَّهَا تراجعت من مئة مليون إلى خمس وأربعين مليون، أي إنهم تعرضوا لإبادة شاملة أو شبه شاملة، وتقدير الستين مليون أقل بكثير من الحقيقة، فالأربعين مليون الموجودة الآن هي نتاج التكاثر الطبيعي المعتدل لخمسة ملايين في الحد الأعلى منذ ذٰلكَ التاريخ. أي دولة معتدلة التكاثر تثب خلال خمسين سنة من خمسة ملايين إلى عشرين مليون، فكيف لو كان الحديث على خمسمئة سنة؟

لم تتوقف الوحشية الأوروأمريكية هنا. بل إلى جانب إبادة عشرات الملايين الأمريكية الأصلية خطفت أكثر من مئة وثمانين مليون أفريقي ونقلتهم إلى أمريكا عبيداً. من هؤلاء المئة وثمانين مليون مات نحو مئة وستين مليون تم إلقاؤهم في المحيط الأطلسي.

ومع ذٰلكَ لا يفتأ الأوروأمريكيين يوجهون أصابع الاتهام إلى المسلمين بأنهم إرهابيون، وحشيون، دمويون... لا نريد العودة إلى تاريخ الوحشية والدموية فهي في مجملها في صالح العرب والمسلمين، وهي مسألة تستحق العودة إليها على أيِّ حال. نريد أن نتابع في تتابع هٰذه العادة الأمريكية اليوم في ممارساتها الوحشية في العراق بما يستحق أن يسمى عقلية الإبادة التي لم تتغير.

الشواهد على ذلكَ في العراق جدٌّ كثيرة. وقبلها في أفغانستان، حَتَّى يصعب الحديث عن كل الحالات أو حَتَّى أكثرها. سنقف عند بعض النماذج فقط، وقد مرت معنا نماذج أخرى في أماكن مختلفة.

لنقف أولاً عند الجندي الأمريكي **كوري كلاچيت** (٢٢ سنة) المحتجز بتهمة إعدام ثلاثة عراقيين إنه نفذ أوامر غير مسبوقة. صورة الخبر الذي نشرته شبكة يو بي آي الأمريكية بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٤م، يوحي بمدى نزاهة الأمريكان وإنسانيتهم. ولٰكنَّ بقية الخبر تقول بأنَّ الجندي يقول: «إنه قام بالفعل الصحيح».

هنا لا بُدَّ للتساؤلات من أن تكثر. فما القصة؟

تتابع الشبكة في الخبر ذاته أن الجندي كوري كلاغيت قال لشبكة إي بي سي عبر الهاتف من سجنه إنَّهُ «يشعر بأن الجيش قد غدر به». لماذا يا ترى؟ لقد تابع الجندي قائلاً: « قيل لنا إن أي شخص علي هٰذه الأرض[٣١] هو عدو. وتابع كانوا متمردين من القاعدة ونحن كنا مستعدين لقتل كل الذكور الذين هم في سن حمل السلاح، وبالتالي استعدينا لذٰلك».

لاحظوا كيف شحنوا الجنود وكيف يريدون تصوير الأمر.

بطريقة التحقيق ذاتها فتحت وستظل الولايات المتحدة تفتح الكثير من التحقيقات، في مجازر من مختلف الأنواع والمستويات، ولٰكنَّ الخيط الجامع لها كلها أنَّ هٰذه التحقيقات لا تفتح ولا أحد يتحدث فيها إلا بعد فضيحة انكشاف المجزرة بأدلة دامغة.

(٣١) . لا ندري هنا ما المقصود بهٰذه الأرض، هل الأرض بالمطلق أم أرض العراق.

في أواخر عام ٢٠٠٦م تتالى بعض الفضائح المدوية بعرض أشرطة تسجيل لمجازر صريحة حَتَّى لم تجد هيئة الإذاعة البريطانية بدًّا من الحديث فيها. قالت الإذاعة «إنَّ الجيش الأمريكي يحقِّق في حادثة وقعت شمالي بغداد (يعتقد) أنَّ جنوداً أمريكيين (رُبَّما) قتلوا عمداً أحد عشر شخصاً بينهم نساء وأطفال». يعتقد ورُبَّما على الرَّغْمِ من وجود شريط فيديو تقول الإذاعة البريطانية ذاتها إنَّهُ «يمثل تحدياً لرواية الجيش الأمريكي بشأن الحادثة التي وقعت في بلدة الإسحاقي في العراق في ١٥ آذار/ مارس عام ٢٠٠٦م»، وليس هٰذا فحسب بل كانت الشرطة العراقية شاهداً على هٰذه المجزرة.

طبعاً سيقال إراهبيين وشياطين وما أدراك. وقد صدرت بعض التصريحات التي تحاول التغطية على المجزرة من قبيل العدد مبالغ به، وكان في المكان إرهابيٌّ... ولٰكنَّ شريط الفيديو واضح صريح فالقتلى أطفال ومدنيين عزل.

هٰذا الكلام في الوقت الذي انكشفت فيه خيوط مجزرة أخرى في مدينة حديثة حيث قام عدد من جنود المارينز الأمريكيين بقتل أربع وعشرين مدنيًّا عراقيًّا في شهر نوفمبر الماضي ٢٠٠٥م.

تعقيباً على ذٰلكَ قال الجنرال الأمريكي **وليام كالدويل** الناطق باسم قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة في العراق «إنَّ ثلاثة أو أربعة تحقيقات تجري حاليا في تلك الاتهامات»، من هٰذا التصريح نستشف أن هناك كومة من الفضائح المماثلة لا محض ثلاث أو أربع، ولذٰلك رفض الحديث بالتفصيل عن تلك التحقيقات.

مجزرة حديثة كانت موضوع مقال كتبه **المختار صلاح** نشره في شبكة البصرة تحت عنوان: مجزرة حديثة : خطأ فردي؟ أم نهج رسمي؟

التساؤل وحده يوحي بانعدام الثقة في الولايات المتحدة، واليقين بأنَّ الإبادة عادة عندها وليس مصادفة ولا خطأ. ولذلك يبدأ بالجواب بقوله: «إنَّ نظرة سريعةً عابرةً، أو بطيئة ومعمقة لتاريخ حروب أمريكا وعدواناتها على شعوب العالم، تقدِّم الجواب القاطع والحاسم والذي لا يستطيع أي خروف في القطيع الموالي لأمريكا أن ينكره».

يقول إن الاحتلال الأمريكي قام بتدمير «بلد كاملٍ ونهب أموال أفراده ودولته وتدمير متاحفه وجامعاته وقتل علماءه وفنانيه وشعراءه وكتابه وساسته، إضافة إلى قتل ما لا يقل عن ربع مليون عراقي مدني بيد الاحتلال. وقتل ربع مليون إنسان هو الحد الادنى لضحايا الغزو طبقاً لإحصاءات أولية».

يتابع: «وتزداد بشاعة الجرائم الأمريكية حينما نلاحظ أن جرائم الإبادة الجماعية الرهيبة للعراقيين قد اقترنت باغتصاب متعمد، وعلى نطاقٍ واسعٍ جدًّا، للنساء والرجال والأطفال، والأبشع أنها تمت، وما زالت تجري حَتَّى الآن، أمام أهل الضحايا وأصدقائهم وجيرانهم... في المعتقلات الأمريكية السرية والعلنية المنتشرة في العراق وفي المدن والقرى والحارات التي يتم اجتياحها عسكريًّا... وما حدث في الضلوعية دليلٌ آخر على أن الاغتصاب سياسة رسميَّة وليس تصرفاً فرديًّا، فلقد هدد علناً القائد العسكري الأمريكي في تلك المدينة شيوخها بأن كلَّ نساء المدينة سيتعرضن للاغتصاب إذا لم يسلم من اتهموا

بمهاجمة قوات الاحتلال... إنَّ ما جرى في العراق كافٍ لإسقاط ما تبقى لأمريكا وبريطانيا من هيبةٍ وسمعةٍ، وإدانتهما قانونيًّا وأخلاقيًّا وماديًّا، وإدانة كل الدول التي شاركت في جريمة الغزو بلا استثناء».

يتابع: «إنَّ المعنى الاهم المتضمن في الحقيقية السابقة هو أن الغزو بذاته قام على الجريمة المنظمة بأعلى أشكالها بشاعةً وتنظيماً وإعداداً على يد عصابات أسستها وقادتها وتقودها أمريكا، وكان القتل الجماعي والتعذيب المخطط للسكان جسديًّا ومعنويًّا أحد أهم أهداف الاحتلال التي أراد الوصول إليها لضمان إخضاع الشعب العراقي له والتوقف عن مقاومته، والتخلي عن دعم الناس العاديين للمقاومة... وجريمة حديثة تقع ضمن هٰذا الإطار، والتهديد باغتصاب نساء الضلوعية يقع أيضا ضمن هٰذا الاطار. وللتذكير فقط إنها جريمة صغيرة على رغم بشاعتها إذا ما قورنت بجرائم رسميَّة أخرى، رأى العالم لقطات منها عبر شاشات التلفزيون واعترفت الإدارة الأمريكية بارتكابها لأنَّها كانت ضرورة عسكرية حسب رأيها! وفي مقدمتها جريمة تدمير الفلوجة كليًّا وتهجير ٣٠٠ ألف مواطن من دورهم وإسكانهم في مخيمات، وقتل الآلاف منهم واغتصاب نساء الفلوجة ورجالها في أثناء تدمير المدينة، واستخدام المساجد فيها بعد التدمير لاغتصاب النساء ومعاقرة الخمر وقتل الجرحى عمداً! وتكرر تنفيذ هٰذه الخطة في سامراء والقائم والرمادي والكرابلة وتلعفر وراوة وبعقوبة والمحمودية واليوسفية واللطيفية، وغيرها من المدن التي تعرضت للإبادة والاغتصاب».

الحقيقة التي انتبه إليها **صلاح** كما انتبه المتبعون جميعاً ولم تعد خافية هي أن هٰذه الجرائم جميعاً ما كانت لتتم لولا السند القانوني الذي يتلطى الجنود

الأمريكيون وراءه. نعم هناك سند قانوني مارسته الإدارة الأمريكية في كل تدخلاتها في كل بقاع العالم منذ مئة سنة، وهو حماية الجندي الأمريكي من أي مساءلة مهما فعل. الإدارة الأمريكية رسميًّا وعلنيًّا قالت إنها لن تسمح بمحاكمة من يرتكب جرائم من جنودها، ورفضت توقيع اتفاقية إنشاء محكمة الجنايات الدولية التي تحاسب من يرتكب جرائم حرب. أي إن أي عسكري أمريكي صار يعلم حَتَّى ولو لم يتم توجيهه أَنَّهُ حرٌّ في القيام بما شاء لضمان الانتصار في الحرب.

الجندي الأمريكي لن يحاسب مهما فعل، هٰذا ما يقال له قبل دخول أي معركة، ولذٰلك كما أشرنا لا يتم فتح أي تحقيق ما تتم فضيحة، وإذا فتح التحقيق فإنه لن يثمر عن شيء. الولايات المتحدة تقدم أكباش فداء ضحايا للقول بأنها تعاقب المرتكبين، ولٰكن حَتَّى العقوبات التي يعاقب بها هؤلاء ليست بمستوى واحد بالألف من الجريمة، وغالباً ما يتم التخفيف والعفو بطريقة أو بأخرى.

المسألة لا تتوقف هنا، الشواهد كثيرة جدًّا في حقيقة الأمر، أشرنا في مواقع أخرى إلى بعض منها، ونذكر بأننا لا نتحدث عن حالات القصف الصاروخي من الطائرات أو القواعد الثابتة، ولا نتحدث عن مواجهات مع عسكريين، نتحدث عن مجازر بحق المدنيين فقط. لا نريد أن نطيل فالكلام في هٰذا الموضوع لا ينتهي، حقيقة لا ينتهي. سنعرض تالياً لمقابلة تلفزيونيَّة أجريت مع الجندي العائد من الحرب **جيسي ماكبيث**[٣٢] في حزيران ٢٠٠٦م. إنها

(٣٢) . سيكون ذٰلكَ في فصل قادم بعنوان: بيدي قتلت ٢٠٠ عراقي، العنوان كما هو تماماً في على الشابكة.

تتجاوز أفلام الرعب بكثير، إنها تجعل بدنك يقشعر وأنت فقط تقرأ ماذا كان يحدث.

نحن نسجل ذَلكَ للتاريخ والأجيال القادمة... فلا يمكن إلا أن يأتي يوم الانتصاف. نسجل ذَلكَ حَتَّى تعرف الأجيال القادة ما حدث، الأجيال القادمة من الأمريكيين والأوروبيين قبل الأجيال العربية القادمة. وإذا كان هٰذا التأريخ بيدنا نحن الضحية فإنه على درجة من المصداقية عالية جدًّا، بل دعوني أقل إن هناك من الأمركيين من وثق هٰذه الحقائق أكثر منا، والأمثلة على ذَلكَ كثيرة، منها من ذكرناه في هٰذا الكتاب ومنهم وهم الأكثر ما لم نذكرهم.

وهذا على سبيل المثال **مايكل بارنتي** الذي وضع كتاباً في نحو ستمئة صفحة من القطع الكبير ليقول فيه فكرة مركزية أساسية: الولايات المتحدة هي دولة الإرهاب(٣٣).

(٣٣) . مايكل بارنتي: **ديمقراطية للقلة** ترجمة حصة منيف المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٥م.

١٥ قتلت بيدي ٢٠٠ عراقياً

المسألة لا تتوقف هنا، الشواهد كثيرة جدًّا في حقيقة الأمر، أشرنا في مواقع أخرى إلى بعض منها، ونذكر بأننا لا نتحدث عن حالات القصف الصاروخي من الطائرات أو القواعد الثابتة، ولا نتحدث عن مواجهات مع عسكريين، نتحدث عن مجازر بحق المدنيين فقط. لا نريد أن نطيل إذن هنا، سنختم بهٰذه المقابلة التلفزيونية التي أجريت مع الجندي العائد من الحرب **جيسي ماكبيث**[٣٤] في حزيران ٢٠٠٦م. وفيما يلي نص اللقاء:

ذهبنا إلى بيت محارب سابق شارك في حرب العراق، **جيسي ماكبيث** وزوجته لين ورضيعهم المولود الجديد. خدم **جيسي** كجندي في العراق لفترة ١٦

(٣٤) . بعد يوم واحد من نشر هٰذه المقابلة التلفزيونية شنّت على المقابلة هجمة إعلامية شرسة دعت القائمين على المقابلة من سحبها من الإنترنت بحجة التأكد من تأريخ الجندي العسكري... ولم يعد يسمح بنشرها ثانية، ولٰكنَّ الكثيرين استنسخوا المقابلة وأرشفوها.

شهراً قبل أن يُجرح ومن ثم أُنهيت خدمته من الجيش الأمريكي، وهو الآن عضو في جمعية "محاربون قدماء ضدّ الحرب."

جيسي: اعتقدت بأنَّني كنت سأصبح بطلاً، بأنَّني كنت سأذهب لأكون الأفضل ولأحمي بلادي، ولأتأكَّد من أنَّ بقية الناس في بلادي لا يعانون من الأذى. كنت ما زلت أريد أن أؤدي واجبي، لكلِّ الناس الأبرياء وكنت فخوراً ببلادي، ببيتي، بحكومتي.

أُرسلت في البدء إلى كوريا لأسبوع واحدٍ لالتقاط جنوداً أكثر، ومنها أُرسلنا كلَّنا إلى الكويت ومنها ذهبنا إلى بغداد.

عندما وصلت إليها ومكثت فيها، تغيَّرت نظرتي للبلاد كليًّا. عندما كنَّا في الكويت، أعلمونا بمهماتنا وطبيعة أعمالنا بوصفنا جنوداً، وأرشدونا إلى أن نثير الخوف منا في قلب العراقيين. ذَلكَ هو الذي أخبرونا. قالوا لنا اعملوا لتحقيق ذَلكَ الخوف مهما كلَّف الأمر. أعلمونا بأن القيادة لن تحاسبنا على أعمالنا تلك، ولن يقوموا باتهامنا بأي جنحةٍ، بل قوموا بما تحتاجون القيام به ومهما كلَّف الأمر لجعلهم يخافونك. أمرونا بأن نكون قاسين معهم. قالوا لنا بأنَّنا لسنا هناك من أجلهم، إذ لدينا أهدافنا الخاصة بنا، ولا تعني اتفاقية جنيف شيئاً بالنسبة لنا. إنَّ اتفاقية جنيف شيء من الفضلات السياسية.

لذا، وعندما سمعت ذَلكَ تسائلت مع نفسي، ما الذي حدث لتلك القيم العسكرية والكلام الذي جُبلنا عليه؟ ماذا حدث لشعار (نحن نذهب هناك لتحرير الناس)؟ تبيَّن لي لاحقاً بأن (عملية تحرير العراق) هي في واقع الحال (عملية ذبح العراق).

أتذكَّر بعد أن تلقينا تعليماتنا الأساسية، كان قد طُلب منا في بادئ الأمر أن نذهب ونُخلي المخابئ التي كانت قد قصفت من قبل قواتنا الجويَّة وبشدةٍ بالغةٍ. وكان علينا أن ندخل إلى داخل الملاجىء المدمرة ونتأكَّد من موت من فيها، وحَتَّى إن كان قد بقى على قيد الحياة أي نساء أو أطفال أو أي شخص تحت تلك الحطام. فكان علينا أن نقضي عليهم جميعاً وننهي حياتهم ومن ثُمَّ نسحب أجسامهم الى خارج الملجأ.

كانت هٰذه الأماكن مثل ملاجئ للحماية من القنابل تحت أرضية الصغيرة، أو حَتَّى سراديب في البيوت. كان معظم المختفين فيها من العوائل، إلاَّ أنَّ مسؤولينا كانوا يؤكِّدون لنا وجود متمرِّدين مختبئين في داخلها، أو إن قوات **صدام** كانت تتخفى هناك.

لذا هبطنا داخل تلك السراديب المدمرة، وكان الكثير من فيها ميتاً، إلا أنَّ العديد منهم كانوا ما يزالون على قيد الحياة، وبجروح فقط. أتذكَّر المشي في هناك، أشتمُّ رائحة اللحم المحترق، وأسمع الناس يبكون، وأسمع نداء الذين يستجدوننا لمساعدتهم لاعتقادهم بأنَّنا كنَّا هناك من أجلهم، وأرى جثث الموتى المتعفنة. إلا إننا كنَّا نقتل المتبقين منهم، حَتَّى الذين لم يصابوا بإصابات بالغة.

تغيَّرت بعد تلك الأحداث الأوليَّة، بعد أن شهدتها، إذ بعد أن قمت بأعمال تؤذي حياة الناس الآخرين، شعرت كأنَّني فقدت الكثير من نفسي أنا.

كان هناك على المعدَّل، أحيانا أكثر، أحيانا أقل، خمسة أو ستَّة أشخاص من الذين بقوا على قيد الحياة بعد القصف الجوي للملجأ، أما من الجرحى أو من قد تأذوا قليلاً فقط أو لأنهم لجأوا إلى تلك الأعماق لتفادي الانفجار

الرئيسي وحاولوا الاختفاء وراء أيِّ شيء. لم يهمنا ذَلكَ الأمر إطلاقاً، إذ كان علينا قتلهم جميعاً في داخل الملجأ، وبعيداً عن أعين وسائل الأعلام، ومن ثُمَّ إخراجهم من الركام.

وفي عدد من المرات، لم تكن المعلومات المخابرتية أكيدة عن وجود متمردين داخل تلك الأبنية. وأعتقد أنهم قالوا لنا بوجودهم فقط لأن وسائل الأعلام قد ضخَّمت أمر عملية ذَلكَ القصف بالذات، ولجعل الأمور تبدو وكأنَّهم كانوا يعملون الشَّيء الصَّحيح.

قام المتمرِّدون بأعمال شنيعة للجنود الأمريكان. لا أدَّعي بأنَّ ما عملوه بنا كان صحيحاً، لكن في الوقت نفسه، إذا أتى بعض الناس إلى أمريكا، وبجيش أجنبي ضخم، ويقوم بالشنائع التي قمنا بها للعراقيين، سأصبح أنا مثلهم تماماً، وأقوم بنفس الأعمال ضدَّ الغازين. يمتلك الناس حقَّ الكفاح من أجل عوائلهم، وبلادهم، خصوصاً إذا كنا نحن من نُرهب بلادهم، فإنَّهم يمتلكون حقَّ المقاومة. أنا لا ألومهم. أنا كنت سأقوم بعمل نفس الشيء.

قالوا لي بأنِّي خائن لقول ذَلكَ، وأضافوا نعوتا أخرى. حسناً، إنِّي أشعر بوصفي خائناً، ولكنِّي أخون كلَّ الأشياء التي علَّمني إياها الجيش والأعمال التي أجبروني على القيام بها. وبعدم الكلام بشأن ذَلكَ، أشعر بأنَّني أكون قد خُنت رفقائي في السلاح من الذين ماتوا في هٰذه الحرب.

بعد ذَلكَ، كنَّا نقوم بهجمات ليلية على البيوت، وكنا نسحب الناس خارج بيوتهم ونجبرهم على الركوع ومن ثُمَّ تقييد أيديهم. ثُمَّ كنَّا نقوم بسوأل رب البيت سؤالاً، وإذا لم يتمكن من إجابتنا بما يشفع استفسارنا، نقوم بقتل طفله

الأصغر بطلقة في رأسه، ونستمرَّ باستجوابنا. قد يكون الرجل بريئاً، وقد يمكن أن يكون رجلاً عاديًّا يحاول أن يحمي عائلته. إلا إذا لم يعطينا جواباً مقنعاً، فإنَّنا كنا نقوم بقتل أفراد عائلته فرداً فرداً إلى أن يخبرنا شيئاً .كان ذَلكَ شيئاً رهيباً. في أثناء ذَلكَ، لم أكن أحسُّ بأيِّ شيءٍ، بل كنت أؤدي واجبي فقط. أردت أن أكون جندياً جيداً.

ولكني شعرت بالخطأ. صرت أقرف من نفسي، لأنَّهُ كان عليَّ أن أرغم نفسي على كره هؤلاء الناس، من أجل أن أتمكن من تنفيذ واجبي. كان عليَّ أن لا أعدُّهم بشراً، بل أنظر لهم فقط على أنهم هدفٌ، أو عدوٌّ، أو تجريدهم من إنسانيتهم. فقط عندها أتمكن من العيش مع ما كنت أفعله لهم. إلا أَنِّي ما زلت غير قادر على ذَلكَ، ومن الصعوبة البالغة عليَّ أنَّ أتعامل مع هٰذا الشعور اللاإنساني، وخاصة بعد أن رجعت الى بلدي؛ إلا أن ذَلكَ التفكير كان السبيل الوحيد لي في حينها لتنفيذ مهامي.

أنا لم أقل بعد كم قتلت منهم، لكن يمكنني القول بأنَّهُ وبيدي فقط من المحتمل كنت قد قضيت على ٢٠٠ شخصاً منهم، تقريباً. ذَلكَ تقدير أوَّليٌّ، وقضيت على الكثير منهم من على مقربة، مثل المسافة بيني وبينك، أو أقرب. عندما كنَّا نهجم على البيوت، كانوا قريبين جدًّا منَّا، إلى درجة أنَّهم كانوا يشعروا بحرارة بندقيتي على جباههم. لم أكن أطلق النار عليهم من تلك المسافة القريبة، بل كنت أتراجع قليلاً وأطلق النار عليهم. كان علينا أن نخيفهم أولاً، ولربَّما نقوم بضربهم، أو برفسهم، أو بضرب الزوجة، أو حَتَّى قيام بعض جنودنا بالتحرش بزوجاتهم من أجل إغاظتهم لكي يبوحوا لنا بشيء.

كنا نهجم في الليلة الواحدة على بيوت متعدِّدة، ونقتل حوالي ٣٠ أو ٤٠ شخصاً من النساء والأطفال في تلك الليلة. أنا لم أتطوع للخدمة العسكرية لقتل النساء والأطفال. لقد تدرَّبت في المدرسة العسكرية لمدة ١٨ شهر. أنا لم أرد القتل، من أجل القتل. أردت تحدياً عسكرياً، أردت محاربة الجنود الآخرين. إلا أنَّني أجبرت على محاربة النساء والأطفال والناس الأبرياء والذين لا يعرفون كيف يحاربون.

لقد أُصبت بإحباطٍ وخيبة أمل في بلادي حقاً، وفي حكومتي، لكنِّي لم أقل أيَّ شيءٍ في حينها لأني كنت سأتعرض للسجن والمحاكمة العسكرية إذا تكلَّمت في أثناء وجودي في الخدمة الفعلية.

الأشياء الأخرى التي طلبوا منا القيام بها هو أمرنا بدخول المساجد. ولهذا يؤذيني كثيراً، حقاً. تأتيني معظم كوابيسي من تلك الفترة. نؤمر بدخول مسجد، حيث كان على الناس تأدية صلاتهم في وقت متأخَّر من الليل. أنهم لا يصلُّون اعتياديًّا في وقت متأخِّر، لكنَّهم يقومون بذلكَ في بعض الأيام المقدَّسة لديهم. نكون قد تسللنا داخل المسجد قبل وقت الصلاة وننتظر مجيئهم. وكان يصل عدد المصلين إلى بضعة من المئات من كلِّ الأعمار من نساء ورجال. و بينما هم منغمرون في صلاتهم نبدأ بإطلاق النار الكثيفة عليهم وقتلهم ومن ثُمَّ إخراج جثثهم من الجامع ونقوم بحرقهم أجسامهم، وكنا نكتب على حيطان المسجد: «إنكم غير آمنين هنا وعليكم الرحيل»، و «ليُقبّل الله (Allah)مؤخرتي وأمريكا». وكنَّا نترك بعض الجثث في الشوارع. بعد

فترة امتعضت جدًّا من هٰذه الأعمال لمشاركتي فيها، ولشعوري بأنَّ بلادي قد حوّلتني إلى ذات الشيء (الإرهاب) الذي أحارب ضدَّه.

والآن، وأنا أنظر إلى الوراء، أدركت بأننا نحن الإرهابيون. نحن الذين قمنا بترهيب بلادهم، ونحارب شعباً كاملاً من الناس الذين لم يقوموا بعمل أي شيء خاطئ ضدنا. لم يكن للعراق أي علاقة بهجوم الحادي عشر من أيلول. لم أكن أعرف ذٰلكَ في حينه، وإنما أعرفه الآن. أشعر بأن موت رفاقي المقاتلين ومعاناتي، ولكلِّ الجنود هناك، كان لأجل شيء تافه، كان من أجل التغطية على الأكاذيب، ولهٰذا يصعب علي الآن العيش مع هٰذه الحقيقة. ولهٰذا أتكلَّم، إذ أشعر أنه بكلامي هٰذا أقوم على الأقل بعمل شيء لتبرير الموتى.

الكثير من العراقيين لم يريدونا هناك. كنا نقوم بإطلاق النار على المحتجّين لأننا أُخبرنا بأنَّهم كانوا مسلحين، سواء كان أو لم يكن لديهم سلاح. كانوا يقولوا لنا: «لديهم سلاح، عليكم أن تهجموا عليهم وبعدها سنجد السلاح معهم». إلا أنَّنا لم نجد أي سلاح معهم بعد قتلهم. كان آمرنا يطلب منا إطلاق النار حتى على الأطفال الذين كانوا يرموننا بالحجارة، أو على متظاهرين يرفعون لافتات احتجاج أو يقومون بإحراق الأعلام. كانت مهمتنا أن نقتل، نقتل، نقتل. أتعرف ما الذي يتندرون به الآن: «ماذا يجعل العشب الأخضر ينمو؟ الأحمر القاني». لذا فلقد خاب أملي في بلدي. أنا خجلان من خدمتي في العراق. والسبب الذي ألبس هٰذه القبعة وأذهب إلى هٰذه الإجتماعات هو لكي

أتمكن من الكلام وقول الحقّ ولكي يعرف ناس بأنَّني كنت هناك وأنا خجلان من اضطراري إيذاء ناس أبرياء. أنا خجلان من الاشتراك في واحدٍ من أشنع الأعمال التي قامت حكومتي بشنها.

العراق فظيع. الكثير من الناس يموتون والكثير من الأشياء تحدث. فقدت الكثير من رفاقي. الكثير من الجنود يرجعون الآن الى أمريكا وهم غير قادرين على التعامل مع الفظائع التي مارسوها عندما كانوا يعملون هناك، وحكومتنا لا تهتمُّ بذلكَ. أغلب الناس لا يهتمُّون بذلكَ. هناك من يهتم، إلا أن أغلبية الأمريكان لا يهتمُّون بالأمر. هناك محاربو العراق القدماء وهم الآن مشرَّدون هنا ومن دون مأوى؛ هناك محاربو حرب فيتنام القدماء ما زالوا مشرَّدون، هناك محاربو عاصفة الصحراء القدماء وهم مشرَّدون أيضاً. إذا اهتمَّ الناس هنا حقا بقدر ما يقولون، عليهم أن يعملوا على تنفيذ كلامهم ويبدلوا لهٰذا الواقع. عليهم أن يوقفوا القتل، لأن كلَّ شخص أمريكي مؤيد لهٰذه الحرب، يقوم في واقع الحال بدعم كلِّ الموت الطاحن هناك في العراق وكلِّ الخسائر في الأرواح.

إن الخسائر في الأرواح العراقيين تُعدُّ بمئات آلاف من الناس. أنا لم أكن أدرك بأنَّهُ من الممكن موت هكذا عدد من الناس وإخفاء ذٰلكَ عن بقية العالم.

بينما كنت في العراق رأيت حفراً أرضية واسعةً مُلئت بالأجسام المحروقة أو المدفونة. كيف تمكنوا من إخفاء ذٰلكَ عن بقيَّة العالم؟ كيف يخفون كلَّ تلك الوفيَّات والكثير منهم أبرياء؟ إنها فعلاً إبادة جماعية.

بلادنا أصبحت إرهابية، ولهٰذا يكرهنا الناس. أنا أحبُّ بلادي، ومستعد أن أموت من أجل بلادي في أيِّ يومٍ؛ لكنِّي لن أموت من أجل رئيسنا، ولن

أموت من أجل حكومتنا. إذا كان ويجب عليَّ أن أحارب ثانيةً، فإنَّ ذَلكَ سيكون من أجل طرد ذَلكَ المتسكِّع خارج مكتبه. أنا متعب من العراق. أنا متعب من كلِّ هٰذه الوفيَّات، ومشاهدة كلِّ هؤلاء الناس، وأشعر بالمرارة لأني كنت مشاركاً فيها.

أتذكَّر هٰذه الحادثة هناك، لعائلة. بعد أن هاجمنا بيتا، وجدنا فيه سيدة وهي تحتضن أطفالها الصغار الثلاثة. أحدهم كان بعمر السنة، أكبر سنًّا قليلاً من ابني، وطفلان بعمر الخمسة أو لربَّما سبعة سنين. لم يكونوا كبار السن مطلقاً، وكانت تحتضنهم وهي جالسة على الأرض بيد يغطيها الدم من جراح أحد أطفالها. رأيتها أنا أولاً. استنجدت بي وتوسلت بي لحمايتها وإنقاذ أطفالها. لكنني لم أفعل ذَلكَ، بل قتلتهم كلهم، لأنَّهُ كان عليَّ أن أفعل ذَلكَ. ولا يمرُّ يوماً الآن من دون أن أتأسَّف على ما فعلت بتلك العائلة. أفكر عندها بابني كثيراً. ما إذا كان ذَلكَ ابني، وإذا جاء أحد وقتل عائلتي؟

العراق فظيع، وما نفعله هناك خطأً. أنا لا أستطيع قول ذَلكَ بما فيه الكفاية. إذا كان لديك حلم بخدمة بلادك، فعليك أن تسلك طريقاً آخر. يمكنك أن تعمل من أجل إيقاف الحرب. كان عندي الأفكار الفخمة نفسها عن وجود بطل حرب مجيد إذ كنت متأثراً بقصص جنود فيتنام.

كان الناس يخبرونني: «إنَّ الحرب ليست مثل ما تفكِّر فيه». لكنِّي لم أصغ لكلامهم. وعندما تذهب إلى هناك وتعتصرك تجربة الحرب، حينئذ تدرك بأن الناس كانوا صائبين في نصيحتهم وبأن الحرب أمر فظيع، ولا ينبغي أن يخضع أحد إلى خوض تلك التجربة.

أن جيشنا يكذب عليك ويتلاعب بك، وفي نهاية المطاف، فإنهم سيفعلون بك ما يشاؤون ولن يحاسبهم أحد، وللحكومة القوّة والقدرة الكاملة على القيام بهٰذا الأمر. يعتقد الكثير من الناس أنَّ هٰذا الكلام غير صحيحٍ، ولكن أنظر الى العراق. نحن نقوم بإرهاب تلك لأمة، في حين لا يحاسبنا أحد.

على الرجال الذين يدخلون الجيش هنا، أن يقوموا بثورتهم الخاصة داخل الجيش، وهنا في أمريكا. أنصح بذٰلكَ. إذا تريد الكفاح من أجل هدف نبيل، فكافح من أجل قضية إنسانية. لا تكافح من أجل حرب على المال أو على النفط أو الحرب للسيطرة على كامل الشرق الأوسط. قامت هٰذه هٰذه الحرب من أجل المال، والجيش ليس كما هو كان عليه. لقد خاب أملي في جيشي، وخاب أملي في بلادي. أنا متعب من كلِّ شيءٍ، من كلِّ الأكاذيب. إنَّهم الآن يريدون القيام بغزو إيران؛ وهم الآن يطبلون من أجل حرب أخرى. سنصبح محاربي إيران القدماء ضدَّ الحرب؛ وسنصبح محاربي سوريا القدماء ضدَّ الحرب، أو محاربي السعودية القدماء ضدَّ الحرب، أو محاربي الصين ضدَّ الحرب. من يعرف إلى أيِّ مدى سيذهب بنا هٰذا المعتوه؟

إنَّ الكثير من المحاربين في الجيش هناك قد سئموا من الحرب، وهم لا يريدون إطالة الحرب. كل ما يحتاجون إليه هو بضعة رجال خيرين هناك لحمل علم المعارضة وتحشيد بقية الجنود خلفهم، وسنتمكن من إيقاف هٰذه المأساة. إنّ الحكومة جاهدة في كم أفواهنا لكي لا نُسمع، و لا تذيع أجهزة الإعلام الرئيسية النقاط التي نطرحها. أنا أتكلَّم كثيراً ولكنَّهم لا يذيعوا الكثير من المادة التي نتحدَّث عنهم، بل يحجبوها. إنهم يذيعون فقط تلك المواد التي يريدون

للناس أن يسمعوها. يريدون إسكاتنا. علينا أن نتحرك، علينا أن نجد الناس الذي سيستمعون لنا ويذيعوه على الملأ، مثل قناتكم في (إنديميديا)، لأنكم تريدون سماع الحقيقة وإيصالها الى الناس لحشدهم وراء الحقيقة.

أنا أنتمي الى بلدي، وإذا استدعى الأمر لقيامي بحمل العلم وأُقتل من أجل بلدي، فسأفعل ذَلكَ لوضع حداً لهٰذه الحرب، لأنها بحاجة الى أن تتوقف الآن، من أجل عائلتي، ومن أجل بقيَّة العالم.

نحن لسنا بحاجة إلى أن نكون هناك.

نحن لا نريد أن نكون هناك.

أرجعونا الى أمريكا.

أرجعونا الى بيوتنا

١٦ جريمتها رفض الخيانة

تحت عنوان: جريمتها عشق الوطن ورفض ثلاثة عروض للخيانة، نشرت شبكة البصرة وصحيفة الأسبوع تقريراً عن اعتقال العالمة العراقية الدكتورة **هدى صالح عماش**. **هدى** واحدة من سلسة حالات تصفية الكفاءات العلمية والفكرية في العراق بدأت منذ سقوط بغداد بيد قوات الاحتلال الأمريكية. حتى ظننا أنَّ الأمريكان جاؤوا ليقتلوا كفاءات العراق العلمية على نحو خاص ومختلف أنواع الكفاءات على نحو عام.

توجهت أصابع الاتهام إلى الاحتلال الأمريكي من دون أي شكٍّ على الرَّغْمِ من توارد بعض الأنباء الخاصة التي تقول بأن الموساد من جهة، وميليشيات إيرانية أو عراقية موالية لإيران من جهة ثانية هي التي تقوم بهذه التصفيات لعلماء العراق وكفاءته العلمية المتنوعة، وقد التقيت شخصيًّا بعدد من هذه الكفاءات

العلمية التي أكدت أنَّ من يلاحقهم ويغتالهم هو الميليشيات العراقية الموالية لإيران. كل من وقف مع **صدام حسين** هو هدف للاغتيال.

على أي حال، المسؤول الأول والأخير وهو الاحتلال، الاحتلال الأمريكي ذاته لم يسلم منه علماء العراق المختصون بالبرنامج النووي والكيماوي على نحو خاص، ومنهم العالمة العراقية الدكتورة هدى صالح عماش التي اعتقلها الاحتلال الأمريكي، وها نحن ننقل قصتها أنموذجاً لما سبق من حالات أخرى، ننقل القصة كما ذكرتها صحيفة الأسبوع المصرية التي يرأس تحريريها الإعلامي **مصطفى بكري**، وكذلك موقع شبكة البصرة، كالعادة، ننقلها حرفيًّا من دون أيِّ تغيير اللهم ما خلا تصويب الأخطاء اللغوية والمطبعية(٣٥).

الدكتور **هدى عماش** العالمة العراقية العربية المسلمة تحتضر الآن في معتقل داخل وطنها الذي عشقته، بقرارٍ من سلطة الاحتلال الأمريكية وبرعاية من حكومة عميلة.

الدكتورة **هدى** مريضة بسرطان الثدي وكانت تتلقي علاجها قبل اعتقال القوات الأمريكية لها وهي الآن تعيش أيامها الأخيرة بعد توقف العلاج... جريمة **هدى عماش** هي عشق الوطن... رفضت أن تخونه وتنام في الفراش الأمريكي. كان أمامها ثلاث فرص لتصبح الآن حاملة لحقيبة وزارية: وزيرة للبحث العلمي أو شئون المرأة، ورئيسة لوفود بلدها... طليقة خارج جدران المعتقل لكنَّها أبت إلا أن تعشق تراب وطنها... رفضت أن تخون.

---

(٣٥) . شبكة البصرة/ صحيفة الأسبوع المصرية: جريمتها عشق الوطن ورفض ثلاثة عروض للخيانة . الأربعاء ١ ذي الحجة ١٤٢٥ / ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٥م.

الفرصة الأولى جاءتها بعد أن حصلت علي رسالة الدكتوراه من أمريكا وكانت تعمل في أثناء دراستها مساعد باحث في جامعة ميزوري في أمريكا خلال الفترة من ١٩٨١م، و١٩٨٣م، بعد حصولها علي الدكتوراه، وكانت الأولى على الطلاب العرب والأمريكان. عرضوا عليها البقاء في أمريكا والعمل فيها خاصة أن زوجها كان لا يزال يدرس ولكنها رفضت بشهادة الدكتور **عبد الله الجعفري** الذي كان زميلاً لها في الدراسة.

عندما رفضت العرض الأمريكي بالعمل داخل جامعاتها لم تكن قرأت في (كف العالم) أنَّ أمريكا التي تعلمت وحصلت علي رسالتي الماجستير والدكتوراه من جامعاتها ستكون العدو الأول لوطنها، تدمر حضارته وتبيد سكانه وتقتل وتعتقل علماءه.

ولأنَّنا أيضا لا نجيد قراءة الكف فلا نعرف ما الذي ينتظره علماء العرب في دول أخرى قد تتحول من صديق إلى عدو في الأجندة الأمريكية.

والفرصة الثانية جاءتها عندما أعلنت أمريكا قبل الاحتلال عن استعدادها لاستقبال علماء العراق وتوفير الحماية بشرط إمدادها بالمعلومات، أي تجنيد (عقل الأمة) ليصبح العلماء جواسيس. لكنَّها رفضت الرضى بالعرض الأمريكي المشروط بأن يتحول العالم إلى عميل... يبيع أسرار وطنه على أقرب ناصية وجاءتها الفرصة الثالثة بعد الاحتلال.

كان بإمكانها أن تسلم نفسها لسلطات الاحتلال وتدلي بما لديها من معلومات. رفضت الفرصة الثالثة وتمسكت بمبادئ الوطنية والانتماء... لو انتهزت أي فرصة من الثلاث لأصبحت الآن حاملة لحقيبة وزارية ورئيسة لوفد

العراق المشارك في منتدى المرأة العربية والعلوم والتكنولوجيا الذي تشهده القاهرة هذه الأيام بمشاركة ما يزيد علي عشرين دولة بالإضافة لجامعة الدول العربية كذلك لم تتحرك أي منظمة عربية لتطالب بالإفراج عن الدكتورة **هدى،** فمنظمات المرأة التي ملأت الدنيا ضجيجاً حول حقوق المرأة واجتمعت في أغلب العواصم العربية تحت لافتة (لا للعنف.. ضد المرأة)، لا تري في اعتقال امرأة مريضة عنفاً، فعنف المحتل خاصة لو كان أمريكيًّا لا غبار عليه والعنف في منظورهم مصدره الأخ أو الزوج أو الأب.

جريمة الدكتورة **هدى عماش** أنَّها عشقت العراق وأطفال العراق... ومصيرها الآن... قد يكون دعوة أمريكيَّة للخيانة... خونوا أوطانكم لتنالوا رضى أمريكا.

أما الاتهام الموجه ضدَّها من سلطات الاحتلال وجعلها المرأة الوحيدة المطلوبة في قائمة الـ ٥٥ فهو إسهامها في إعادة بناء منشآت الأسلحة العراقية بعد حرب ١٩٩١م.

وأمَّا السبب الحقيقي لموقف أمريكا من الدكتورة **هدى عماش** فيرجع بالأساس إلى نشرها عدداً من الأبحاث، وعرضتها في المؤتمرات العلمية الدولية، منها بحث آثار التلوث لحرب الخليج في انتشار الأمراض الوبائية في العراق ألقته في مؤتمر علمي بروما عام ١٩٩٩م، والثاني تحت عنوان آثار التلوث الميكروبي والكيميائي والمغناطيسي الناتج عن حرب الخليج والحصار على البيئة والصحة وأكدت في أبحاثها أنَّ الأسلحة الأمريكيَّة المحرَّمة دوليًّا التي استخدمتها أمريكا في حرب الخليج كانت السبب وراء انتشار السرطان في جنوب العراق.

وفضحت من خلال مشاركتها في المؤتمرات استخدام أمريكا لأسلحة دمار شامل محرمة دوليا منها اليورانيوم المنضب وأسلحة بيولوجية والكترونية مشعة.

الدكتورة **هدى عماش** امرأة مسلمة ترتدي الحجاب ملتزمة عمرها ٤٩ عاما زوجة **أحمد مكي** وهو رجل عراقي احترم قدراتها ولم يعق تقدمها وأم لـ **زينا وسيف**...

تمكنت وأصبحت لها مكانة علمية قبل رفع شعارات تمكين المرأة واستشعر والدها الثائر العراقي البارز **صالح مهدي عماش** ميول ابنته العلمية وتميزها وتفوقها الدراسي فشجعها حَتَّى:

حصلت على بكالوريوس العلوم من جامعة بغداد عام ١٩٧١م.

وحصلت علي ماجستير في علم الأحياء الدقيقة من جامعة أمريكية في تكساس.

وبعدها حازت علي شهادة الدكتوراه من جامعة بكولومبيا.

في أثناء دراستها بأمريكا حازت علي حب زملائها لحميميتها وعلاقاتها الطيبة بالطلاب العرب وحازت علي احترام أساتذتها لنبوغها العلمي...

عرضوا عليها العمل بعد الحصول على الدكتوراه في الجامعات الأمريكية ورفضت لأنَّها تريد أن تخدم بعلمها أبناء وطنها عادت إلي العراق وتدربت علي يد **ناصر الهنداوي** الذي تصفه أمريكا بأنه رائد برنامج الأسلحة البيولوجية في العراق.

وتولت رئاسة جمعية الأحياء الدقيقة وهي الجهة التي تعتقد أمريكا أنها وراء تطوير الإنثراكس.

حصلت علي جائزة مؤسسة شومان الأردنية للعلماء الشباب.

واختيرت عضوا في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٩٦م.

وانتخبت عضوا في المجمع العلمي الإسلامي عام ٢٠٠١م.

وعملت بعد تخرجها باحثت مساعداً في جامعة بغداد ١٩٧٥م . ١٩٧٦م.

وعملت مساعد باحث في جامعة ميزوري في أمريكا في الفترة من ١٩٨١م . ١٩٨٣م، خلال دراستها لنيل الدكتوراه.

وعملت مدرسة ثُمَّ أستاذة في كلية العلوم جامعة بغداد.

وعملت أستاذة بكلية الطب وكلية العلوم.

وكانت أول امرأة تنتخب عضواً في قيادة حزب البعث.

هدى مصابة بالسرطان منذ عشر سنوات وتعاني الآن من انتكاسة نوبات وآلام حادة بعد أن توقفت لمدة تزيد على عام ونصف العام عن العلاج بسبب اعتقالها.

وكانت الدكتورة **هدى** التي تطلق عليها واشنطن (السيدة أنثراكس) مستهدفة هي وأسرتها من القوات الأمريكية التي شنت غارة علي منزلها في أبريل ٢٠٠٣م.

وعقب الاحتلال أشاعت أمريكا أنَّها هربت إلى سوريا ثُمَّ تأكَّد اعتقالها، وللمرة الثانية تكذب أمريكا وتعلن إفراجها عن الدكتورة **هدى**

لتكتشف الكذبة وكالات الأنباء العالمية التي توجهت لمنزلها لإجراء حوار معها.

وقد ناشد المؤتمر القومي العربي الأمم المتحدة ورؤساء المنظمات العربية والدولية لحقوق الإنسان التحرك لإنقاذ حياة العالمة العراقية وحمل سلطات الاحتلال الأمريكيَّة مسئولية ما يصيبها من مخاطر.

ما تتعرض له الدكتورة **هدى** جزءٌ من حملة ضدِّ علماء العراق الذين اغتال الموساد ١٢٥ عالماً منهم واعتقلت السلطات الأمريكية المئات ليواجهوا ظروفاً منافية لأبسط حقوق الإنسان وللعهود والمواثيق والاتفاقيات الدولية منهم الدكتور **عامر السعدي** والدكتور **حسام محمد أمين** والدكتورة **رحاب طه**.

ورغم أنَّ العراق كان مقرًّا لأغلب الاتحادات العلميَّة العربية فلم تصدر أية مناشدة أو نداء من هذه الاتحادات للمطالبة بالإفراج عن الدكتورة **هدى عماش** وعلماء العراق وجاءت المناشدة من مؤسسات علمية وأكاديمية في الغرب اعتبرت أنَّ اعتقالها ليس له أي علاقة بمزاعم أسلحة الدمار الشامل التي لم تعثر فرق التفتيش وبعدها قوات الاحتلال على أثرٍ لها داخل الأراضي العراقية وارجعت اعتقالها إلى فضحها للجرائم التي ارتكبتها أمريكا والأسلحة المحرَّمة دوليًّا التي استخدمتها، وقال الناشر **ألكسندر دوميل** الذي نشر أبحاثها: «لقد صُعقنا عندما اعتقلت الولايات المتحدة الدكتورة **هدى عماش** ووضعتها تحت ظروف حجز قاسية وذلك لمنعها من اتهام القوات الأمريكية بالتسبب في انتشار

أمـراض السـرطان بَـيْنَ سـكان العـراق بسـبب اسـتخدام هـذه القـوات اليورانيـوم المشـع. وطالبـت منظمـة «بيئيـون ضـد الحـرب» وهـي منظمـة عربية بالإفراج عن الدكتورة **هدى عماش** والدكتورة **رحاب طه**.

القصة لم تنته هنا، ولن تنتهي هنا. أعني قصة العلماء والكفاءات العلمية من مختلف الميادين والمجالات. يتابع تقرير الأسبوع وموقع البصرة بإطلاق حملة للإفراج عنها. ولكن لن تكون هٰذه هي آخر قصص الكفاءات العلمية في العراق ولا في بلاد العرب أجمعين. لقد ألمح التقرير عرضاً إلى نوعين من السلوك سلوك الاعتقال وهو الذي تمارسه سلطة الاحتلال، وسلوك الاغتيال وهو الذي تمارسه جهات أخرى، جهات محسوبة على الوطن والأمة. وهٰذا مؤشر مأساة تعيشها الأمة، ورُبَّما يكون في المستقبل القريب أو البعيد ما يكشف عن مدى ما تمارسه الجهات الداخلية من اضطهاد للكفاءات العلمية.

١٧ تزوير قصة أسر صدام

التَّزوير والتزييف أمرٌ واقع في حياة الإنسان منذ القديم، وليس ظاهرةً جديدةً، ولكن عَبْرَ التاريخ لم نعرف من يجرؤ على تزوير ما لا يقبل التزوير من وقائع ماثلة أمام الأعين بوضوحٍ وصراحةٍ تفقأ العين الجاحدة منها أو المنكرة. أمريكا فعلت ذلك كثيراً وخاصة في العدوان على العراق وأفغانستان، ومن هذه الحالات حالة إلقاء القبض على **صدام حسين** الرئيس العراقي. شاهدنا صوراً لم نصدقها بالحدس عن طريقة إلقاء القبض على **صدام حسين**، ووردتنا على الفور رسائل من أصدقاء تنفي أن يكون الأمر تم على هذه الطريقة التي تم تقديمها لوسائل الإعلام. ولم يطل بنا الأمر كثيراً حتى وصلتنا القصة الحقيقية التي رواها أحد الجنود الذين عثروا على **صدام حسين** في القصة

الحقيقية، وهو يروي ما حدث. لن نطيل التقديم، سنذكر القصة كما نشرها موقع دنيا الوطن نقلاً عن المصدر[٣٦].

كلنا رأينا الصور في ديسيمبر/كانون أول ٢٠٠٣م **لصدام حسين** أشعث الشعر وغير مرَتّبٍ بعد سحبه من (حفرة عنكبوت) في بلدةٍ قرب تكريت. الإدارة ضحكت والرأي العام الأمريكي ألف النكات عنه وعن مخبأه.

الغرفة كانت قذرة. كانت هناك علبة فارغة للحم الرخيص علامة (سبام). القصة كانت على أنَّهُ اختفى هنا وهذا ليس ذا أهميَّة للعراقيين. أيامه قد انتهت وهو الآن في أيدي المحررين.

احزر؟ لم يكن شيءٌ واحدٌ من هذا السيناريو حقيقيًّا.

نشر الاتحاد الصحفي الدولي (يو بي آي) في ٨ آذار/ مارس ٢٠٠٥م بياناً صحافيًّا صغيراً تحت عنوان «نسخة عامة عن قصة أسر صدام».

لا تعتقد بأنَّك مهملٌ لأنَّك لم تقرأ هذا لحد الآن ، لكنه تلقى اهتماماً ضئيلاً في الولايات المتحدة. قبل كتابتي لهذه المقال، وجدت دكان (كشك) صحف واحد فقط عرض هذه القصة. القناة الداوي ١٣ (وام تشانل ١٣) روتشيستير، نيويورك.

البيان الصحفي لـ يو بي آي اشتمل على اقتباسات من جندي بحرية (مارينز) سابق اسمه **نديم رابح**، وهو من أصول لبنانية. بالإضافة إلى الرواية

(٣٦) . نشر الاتحاد الصحفي الدولي (يو بي آي) في ٨ آذار/ مارس ٢٠٠٥ بياناً صحفيًّا صغيراً تحت عنوان: نسخة عامة عن قصة أسر صدام. تداولته بعض وسائل الإعلام، ومنها موقع دنيا الوطن على الشابكة، وعنه نقلنا النص كما هو من دون تصرف، اللهم ما خلا تصويب بعض الأخطاء اللغوية.

الأمريكية عن تاريخ الأسر أنَّهُ كان قد انتهى في يومٍ واحدٍ، أثناء مقابلة له في لبنان، ذكر **نديم رابح**:

أنا كنت من بَيْنَ العشرين رجلاً المكونين للوحدة، من بينهم ثمانية من أصول عربية، الذين بحثوا عن **صدام** لمدة ثلاثة أيام في منطقة الدور القريبة من تكريت، ووجدناه في بيت بسيط في قرية صغيرة وليس في الحفرة التي أعلن عنها.

أسرناه بعد مقاومة عنيفة خلالها قتل جندي بحرية من أصل سوداني.

روى **رابح** كيف أن **صدام** أطلق النار عليهم من بندقية من نافذة غرفة تقع في الطَّابق الثاني. بعدها، صرخ جنود البحرية عليه باللغة العربية:

. «إنك يجب أن تستسلم. ليس هناك من فائدة في المقاومة».

كيف جئنا لمشاهدة صور الحفرة **وصدام** بمظهره القذر؟

طبقاً **لرابح**: «لاحقا، لفَّق فريق إنتاجٍ عسكريٍّ فيلم أسر **صدام** في حفرة، والتي في الحقيقة كانت فتحة لبئر مهجور».

رواية جندي البحرية السابق تنسجم مع الإدلاء الذي أعطاه **صدام حسين** لمحاميه في اجتماعهم الوحيد. **صدام** أخبره بأنَّهُ أسر في بيت صديق وأنَّهُ خدِّر وعُذِّبَ لمدة يومين. لذلك، صور **صدام** تبدو موسخة.

ذهبت إلى موقع چوچل كوم وبحثت عن صور أسر **صدام**. كلُّ الشبكات ومنشورات الأخبار الرئيسية أظهرت صور الحفرة **وصدام** المحاصر: مجلة التايمز، سي إن إن، مجلات، صحف يومية، الخ. سمِّ ما تشاء وهم ينشرونها.

لكن، كلهم كانوا على خطأ. ليست هناك نشرة واحدة أخذت متسعاً من الوقت لبحث القصة. ليست واحدة. هم فقط أخذوا الصور التي وزعت

عليهم من قبل الجيش الأمريكي ومن ثَمَّ كتبوا الخطوط التي أمليت عليهم مرددين الكلام بطريقة ببغاوية.

هذه ليست المرة الأولى، شيءٌ مماثلٌ قد حصل سابقاً. بعد غزو واحتلال بنما عام ١٩٨٩م، سمحت الولايات المتحدة للصحافة دخول مكتب **مانويل نورييجا**. لقد وُصِفَ كأَنَّهُ منحرفٌ جنسيًّا. كانت في المكتب صور لأولاد صغار، صورة **لهتلر**، ملابس داخلية حمراء ومجلات خلاعية. اللقيط القذر.

بعد شهور قليلة، سُرِّحَ من الخدمة العسكرية جندي البحرية الذي كان أول من دخل مكتب **نورييجا**. تكلَّم هذا الجندي في النهاية مع مراسل صحفي وقال له بأنه كان على الإطلاق أول من دخل المكتب بعد أن اختطفت الولايات المتحدة الرئيس البنمي السابق وكل ما كان داخل المكتب هو منضدة، هاتف، كرسي وآلة كاتبة.

دعنا نرجع ١٦ سنة الى الخلف من زوال **نورييجا**. في عام ١٩٧٣م، اغتيل الرئيس التشيلي **سلفادور الليندي**. عندما سُمِحَ للصحافة دخول مكتبه، شاهدوا زوجاً من الملابس الدَّاخلية الحمراء، صور لأولاد صغار، صورة **لهتلر** ومجلات خلاعيَّة. وكالة المخابرات المركزية لم تمتلك الحشمة لتغيير الدعائم. استعملوا الدعائم السينمائية نفسها لكلا المكتبين، معتقدين أنَّ ١٦ سنة كانت وقتاً طويلاً وليس هناك أحدٌ يكتشف ويفهم الحيلة. أحد المراسلين الذي غطى حدث ١٩٧٣م كان أيضا موجوداً في بنما عام ١٩٨٩م وحدث أن رأى كلا السناريوهين المصطنعين الملفقين.

لقد غيروا الدعائم السينمائيَّة، مع **صدام**، لأنَّ الواحدة المذكورة سابقاً قد لا تمر في العراق دون اكتشافها. وأنا دائما تساءلت: «كيف

أنَّـهُ حصـل علـى علبـة اللحـم الرخيصـة (سـبام)، لأن هـذا المنـتج لم يعـرض للبيع في العراق؟».

يبـدوا أن لا أحـد طـرح أسـئلة، مثـل كيـف حصـل أنَّ علبـة لحـم (سـبام) كانت موجودة في الحفرة؟

قبل نحو السنة، كانت هناك صورة على الشابكة، والتي اكتسبت كثيراً من الدعاية والإعلان، لمجموعة من الجنود الأمريكان واقفين بجانب بنايةٍ عراقيَّةٍ وعليها كانت صورة انفجار مركز التجارة العالمي. الاستدلال من ذلك أن العراقيين كانوا فرحين ومغتبطين لحادث الحادي عشر من سبتمر/أيلول.

على أيِّ حال، لاحظت أن الجنود كانوا واقفين على قاعدة طريق للعب البيسبول. لم يكن لساحات ملاعب البيسبول وجوداً في العراق. بعدها، نظرت الى الأشجار ورأيت أنها كانت خصوصاً نوعاً من أنواع الأشجار الموجودة في المناطق الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة والتي لم أر وجوداً لها في أيِّ صور العراق.

الصورة كانت مزيفةً، لكن الأذى منها كان قد عمل. حَتَّىْ أجهزة الإعلام السائدة التقطتها وعرضتها. كتبت إلى عدد من الوكالات التي استعملتها ووزَّعتها، لكنَّني لم أستلم أيَّ جواب. كانوا محرجين.

دعنا الآن نعود الى **صدام** وفتحة العنكبوت والسمات الأخرى من حياته بعد ٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٣م.

عندما أُسر، قالت السلطات الأمريكية بأنَّهُ كان يشكِّل قوَّة مستهلكةً وليس له أيُّ تأثير في المقاومة المتنامية باضطراد. كلامٌ تافهٌ، المعلومات اللاحقة أظهرت بأنَّـهُ كـان يـترأس المقاومـة ودعـى إلى إطـلاق العديـد مـن الهجمـات علـى قـوات الاحتلال. بالمناسبة، خلال زيارته الأولى لبغداد، سكن **بول فولفوفتز** في فندق

الرشيد. أطلق صاروخ على البناية وقتل عقيد أمريكي كان ساكناً في طابقٍ واحدٍ فقط فوق الطابق الذي حل فيه **فولفوفتز**. **صدام حسين** أمر شخصيًّا بهذه الضربة، ولأجل حوالي أربعة أمتار، لربَّما قد غير التاريخ.

سمعت حكايات قصصية عن **صدام حسين** يشارك في حرب الشوارع ضد القوات الأمريكيَّة. مصادر مختلفة أخبرتني بهذا. لذا، كتبت إلى مصدري في بغداد (عقيد متقاعد) وسألته. اليوم، استلمت ردًّا حول ذلك بالإضافة الى أسر **صدام**. هنا بعض الشيء مما ذكره.

«ملابس **صدام** الداخلية كانت نظيفة جدًّا، والتي تعطي الانطباع بأنه لم يكن في الحفرة».

«في الوقت الذي قالوا إنهم أسروه، لم تكن هناك أيَّة تواريخ متوفرة، لكن الأشجار التي أظهروها في الفلم تمثل أشجار نخيل تحمل رطبا (تمراً) طريًّا وهذا غير محتمل».

«بيتي يقع في منطقة الأعظمية وأنا أستطيع القول بأنَّني رأيت **صدام** بعد أن أعلنوا عن سقوط بغداد. رأيته بنفسي. كان واقفاً على غطاء سيارة. كان يبتسم إلى الناس الواقفين حوله والتي كانت تشجعه بولائها له، الولاء الذي كانوا دائما يحملونه ويكنونه له».

«كما أعرف، **صدام** كان على قمة المعركة في المطار».

«الذي سمعته أنَّهُ كان على قمة العديد من الهجمات ضد الأمريكان».

من مصادر مختلفة، نمتلك الآن قصة مختلفة كليًّا عن الواحدة التي أطعمتنا وغذتنا بها إجباريًّا الإدارة الأمريكيَّة. بدلاً من أنَّ **صدام حسين** كان جباناً،

الذي هرب وأمسك به في حفرة في الأرض، هو الآن الرئيس، الذي، تحت الحصار، اجتمع علناً بشعبه في ٩ أبريل/نيسان ٢٠٠٣م، (رأينا فيلم فيديو عن هذا في التلفزيون الأمريكي)، بعد أن شارك بصورة شخصية في معارك مختلفة ضد الغزاة، والذي خلق شبكة من المقاومة بينما عشرات الآلاف من العسكريين الأمريكان كانت تبحث عنه.

شيءٌ واحدٌ أكيد؛ معظم الرجال بعمر ٦٥ سنة يتأملون التقاعد. لكن، **صدام حسين** عاش بسبب ذكائه، على الأرض، ومع الرفاق لمدة تسعة أشهر، ينسق كل الوقت مقاومة ضد المحتلين غير الشرعيين. معظم الرجال بنصف عمره لن يكونوا قادرين على خوض التحديات البدنية لمثل هذا الروتين. وهذه بنفسها مفخرةٌ رائعةٌ.

دعنا ننظر إلى نظير **صدام** الأمريكي، **جورج دبليو بوش**. حول الإنجاز العسكري الوحيد الذي أدَّاه كان تجنبه لفحوصات المخدرات عندما كان عضواً في الحرس الوطني الأمريكي. هناك، نجح نجاحاً رائعاً.

لسوء الحظ، الحكومة الأمريكية تمتلك كل سجلات العراق قبل أبريل/نيسان ٢٠٠٣م. ليست كلمة واحدة ستذكر والتي ستناقض إعادة الكتابة الأمريكية لتاريخ العراق. في أحسن الأحوال، نحن يجب أن نعتمد على روايات قصصية وشهود عيان. هي ليست الأفضل ولا الشكل الأكثر دقة للتاريخ. لكنَّها الآن كل ما نملك.

١٨ لقاء رامسفيلد وصدام

قصة لقاء وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** مع الرئس العراقي الأسير **صدام حسين** كانت تسريبات صحافية في البداية، ثمَّ تداولتها وسائل إعلام عديدة. صحيفة الأسبوع التي يرأس تحريرها الإعلامي مصطفى بكري نشرت تفاصيل هٰذا اللقاء، مع مقدمة لرئيس التحرير، نوردها كما هي(٣٧):

كشفت مصادر سياسية عليمة للأسبوع عن تفاصيل وقائع اللقاء السري الذي عقده وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** مع الرئيس العراقي **صدام حسين** الذي التقاه **رامسفيلد** خلال زيارته الأخيرة إلى بغداد.

وقد جاء هٰذا اللقاء في أعقاب تصاعد العمليات الفدائية للمقاومة العراقية ضد قوات الاحتلال الأمريكية وحلفائها وعملائها علي أرض العراق، إذ

(٣٧) . مصطفى بكري: **تفاصيل محضر اللقاء السري بين رامسفيلد وصدام حسين في سجن المطار** . صحيفة الأسبوع . القاهرة . عدد ٢/٥/٢٠٠٥م.

أشارت المصادر إلى أنَّ القوات الأمريكية قد منيت خلال الأشهر الثلاثة الماضية بخسائر وصلت إلى اكثر من ١٦٠٠ قتيل وجريح لم يعلن سوي عن عدد ضئيل منهم، وأكدت المعلومات أن الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** كان قد عقد لقاء مع أركان إدارته تباحث فيه سبل وقف عمليات العنف والمقاومة في العراق إنقاذاً لأرواح الجنود الأمريكيين ووقف عملية الانهيار الحاصل في التحالف القائم بَيْنَ الولايات المتحدة وبعض الدول الأخرى التي أرسلت بقواتها إلى الساحة العراقية، وقد توصل المجتمعون إلى صيغةٍ تهدف إلى الإفراج عن الرئيس **صدام حسين** ونفيه إلى خارج العراق في مقابل إصداره إعلاناً تليفزيونيًّا يطالب فيه المقاومة العراقية بالتوقف عن أعمال العنف، وتشكيل حزبٍ سياسيٍّ للمشاركة في العمليَّة السياسية في العراق.

وقد كلف **بوش الابن** وزير دفاعه **دونالد رامسفيلد** بالسَّفر إلى العراق على الفور بذريعة الحث على الإسراع في تشكيل الحكومة العراقية الجديدة والتقاء القيادات العراقية التي أفرزتها الانتخابات الأخيرة. وأشارت المصادر إلى أنَّ **رامسفيلد** التقي الرئيس **صدام حسين** في سجنه القريب من مطار بغداد الدولي إلى الغرب من العاصمة العراقية وأن اللقاء استمرَّ قرابة الساعة بحضور قائد القوات الأمريكية في العراق. وفي أعقاب زيارة **رامسفيلد** للعراق رفع وزير الدفاع الأمريكي تقريراً إلى الرئيس **بوش الابن** يحوي محضر اللقاء ويرسم ملامح التعامل المستقبلي مع الأوضاع في العراق ليشدد على ضرورة البحث عن آليات للحوار السياسي مع المقاومة ومع الرئيس **صدام حسين**.

وأكَّد **رامسفيلد** في تقريره أن الأوضاع في العراق تزداد خطورة وأنَّ المقاومة العربية تبدو كجيش منظم جرى إعداده وتدريبه جيداً، وقدمت إليه إمكانات مادية وتسليحيَّة مهمَّة. وأشار **رامسفيلد** إلى أن عدد المقاومين وصل الآن إلى أكثر من ٤٠٠ ألف مقاوم حوله أكثر من خمسة ملايين من المساندين.

وأشار **رامسفيلد** إلى أنَّ ما جرى في الفلوجة كان له أثر سلبي في الأوضاع الأمنيَّة وأنَّ المقاومة نجحت في استثمار ما تمخض عن آثار الحرب على (الارهاب) لصالحها إذ أصبح الشباب العراقي يتنافس على التطوع في صفوف المقاومة.

وأكَّد **رامسفيلد** أنَّ كثيراً من أسماء التنظيمات المقاومة التي تعلن عن نفسها ما هي إلا واجهات لتنظيمات حزب البعث التي يشرف عليها حاليًّا **عزت إبراهيم** نائب الرئيس العراقي السابق **صدام حسين**.

وتوقع **رامسفيلد** أن يزداد الموقف صعوبة للغاية في الفترة القادمة إذ تزايدت وتيرة العمليات المسلحة إلى أكثر من مئتي عمليَّة يوميًّا، توقع العشرات من الضحايا في قوات الحلفاء وقوات الحرس الوطني والشرطة العراقية.

وقال **رامسفيلد** إنَّهُ اطلع علي عدة تقارير أمريكيَّة وعراقيَّة تكشف تردي الأوضاع الأمنية في العراق وتراجع الروح المعنوية للجنود وتصاعد الخسائر البشرية والمادية للقوات.

وأشار **رامسفيلد** إلى أنَّ هناك خسائر فادحة في المعدات الحربية الأمريكية وأنَّ القوات الأمريكية تفقد أسبوعيًّا متوسط ٣٠ آلية أمريكية على الأقل، وأنَّ ذلك يحدث حالة استنزاف مستمرة لدي القوات.

وأكَّد **رامسفيلد** أن المقاومة استولت خلال الآونة الأخيرة علي مخازن أسلحة أمريكيَّة متطورة تتضمن مدافع وقاذفات وراجمات وصواريخ مضادة

للطائرات وأسلحة أخرى متقدِّمة، وأنَّ القادة الأمريكيين أبدوا مخاوفهم من التأثير الإيجابي لهٰذه الأسلحة في تصاعد حركات العنف وعمليات المقاومة.

وفي نهاية تقريره طالب **رامسفيلد** بضرورة مواصلة الحوار مع **صدام حسين** وأنصاره لحين التوصل إلى صيغة يتم من خلالها ضمان فترة هدنة مؤقتة لبحث الشروط المطروحة كافَّةً من قبل الجانبين.

الأسبوع حصلت علي محضر الحوار بَيْنَ **صدام** و**رامسفيلد** من مصادر أمريكية موثوقة، وهٰذا هو نص المحضر:

في بداية الحديث كان الرئيس **صدام** يبدو هادئا للغاية، ربما يكون قد فوجئ بأن ضيفه هو **رامسفيلد،** إلا أنه لم يبد عليه أي توتر عصبي، بدأ **رامسفيلد** الحديث بالقول

رامسفيلد: لقد جئت للقائك لأتفاوض معك حول الموقف في العراق، لقد أجرينا اتصالات مع بعض أنصارك داخل وخارج العراق، وقد نصحونا بأن نستمع إليك.

صدام حسين: وماذا تريدون؟ لقد احتلت قواتكم أرض العراق الأبي، واسقطتم نظام الحكم دون سند من شرعية واعتديتم على سيادة بلد حر مستقلٍّ ذي سيادة، وارتكبتم جرائم سيسجلها التاريخ ليكون شاهداً على حضارتكم المخضبة بالدماء، فماذا تريدون بعد كلِّ ذٰلك

رامسفيلد (يحاول أن يكتم غيظه): لا داعي للخوض في الماضي لقد جئت خصيصاً لأعرض عليك عرضاً واضحاً ومحدَّداً، وأريد أن أسمع منك إجابة واضحة ومحددة.

صدام حسين (ساخرا): أظنك جئت للاعتذار وإعادة السلطة للعراقيين.

رامسفيلد: ليس هناك ما نعتذر عنه، لقد شكلّت خطراً على جيرانك وسعيت لامتلاك أسلحة دمار شامل ومارست الديكتاتورية علي شعبك وكان طبيعيًّا أن نمدَّ أيدينا لشعب العراق لنخلصه من المخاطر التي واجهته علي مدى أكثر من ثلاثة عقود.

صدام حسين: أعرف أنك جاهل بالتاريخ، وأعرف أن رئيسك لا يقلُّ جهلاً، ولكن يبدو أنَّكم ظللتم تكذبون حتى صدقتم أنفسكم، إذا كنت تقصد بجيراننا الكيان الصهيوني فنحن فعلاً كنا نشكل خطراً ونعد العدة لتحرير أرضنا المغتصبة في فلسطين، وهٰذه أمنية كل إنسان عربي وليس عراقيا فهٰذه الأرض عربية وشعبها عربيٌّ والصهاينة هم الذين احتلوا الأرض وجاءوا إلينا من كلِّ أنحاء العالم بمساندتكم أنتم وقوى الاستعمار القديم. أمَّا إذا كنت تقصد الكويت، فأريد أن أسألك: هل انسحبتم من الكويت أم لا؟

رامسفيلد :هٰذه قضايا أمنيَّة، ثُمَّ إنَّهُ بيننا وبين الكويت ودول الخليج الأخرى اتفاقات أمنية... لقد جئنا بناء على طلب منهم، لحمايتهم من تهديداتك.

صدام حسين: أليس مضحكاً أن يؤتمن الذئب على الخراف، إنَّ شعب الكويت شعب عربيٌّ، والكويت هي أرض عراقيَّة، ولذلك أدعوك أن تقرأ التاريخ جيداً، وإن كنتُ على ثقة في أنك لن تستوعبه

رامسفيلد: دعك من هٰذا الهراء، أنا أعرض عليك...

صدام (مقاطعاً): قبل أن تعرض عليَّ بضاعتك الفاسدة أنا أسألك: هل وجدتم أسلحة الدمار الشامل في العراق أم لا؟

رامسفيلد (مرتبكاً): لم نعثر عليها حتى الآن، لكن حتماً سنعثر عليها في يومٍ ما، هل تنكر أنه كانت لديك نوايا لصناعة قنبلة نووية؟

صدام: لم تكن لدينا أسلحة دمار شامل منذ عام ١٩٩١م، لقد كنا صادقين ونحن نتحدث مع بعثة التفتيش الدولية، وكنَّا صادقين في رسائلنا إلى **كوفي عنان**، وكنتم تعرفون هٰذه الحقائق، لكنكم كنتم تبحثون عن أية ذرائع كاذبة لاحتلال العراق واسقاط سلطته الشرعية.

رامسفيلد: لقد استقبلنا العراقيون بسعادة بالغة ورحبوا بنا، وكان السبب هو ممارسات نظامك الدموي علي مدى كل هٰذه السنوات التي حكمت فيها العراق.

صدام: أرجوك يا سيد **رامسفيلد**... كفاك كذباً، فأنتم الذين فجَّرتم شلالات الدماء على أرض العراق، لقد تآمرتم علينا وجئتم ببعض الخونة ليحتلوا السلطة على أرض العراق العظيم.

رامسفيلد: من تسميهم خونة اختارهم الشعب العراقي كقادة له بطريقة ديمقراطية وانتخابات نزيهة لم تحدث في ظل حكمكم للبلاد.

صدام: لقد عرفت أنكم جئتم بجوقة الخونة وفي مقدمتهم **الطالباني**، (ضحك ساخراً)، العراق العظيم يحكمه **الطالباني والجعفري**، ألا يدعو ذٰلك للسخرية؟!.. ثُمَّ عن أيِّ انتخابات تتحدث؟... هل يجوز أن تجري انتخابات حرة كما تقول في ظل احتلالكم لبلدنا؟ يا سيد **رامسفيلد** لقد تعلمنا من التاريخ أنَّ المحتل لن يأتي إلا بأعوانه وعملائه، ثُمَّ تريد بعد كلِّ ذٰلك أن تقنعني بأن شعب العراق يتمتع بالحرية والديمقراطية، إنك حقًّا تهذي.

رامسفيلد (يكتم غيظه بشدة): أنت معزول ولا تعرف حقائق ما يجري في الخارج، إن الشعب العراقي تحرَّر من ظلمك، ولو رأوك أنت أو أيا من رجالك في الشارع لفتكوا بك..!

صدام: وأنا أراهنك إذا استطعت أن تعلن عن مكان تواجدك في العراق، لو علمت المقاومة العراقية بمكانك لما استطعت أن تخرج حيًّا، إنَّني أريد أن أسدي نصيحة إلى رئيسك (الغبي)، عليك أن تبلغها له وهي أن ينقذ ما تبقي من جنوده، إنَّ الموت يحاصرهم من كل مكان، والتاريخ لن يرحمه.

رامسفيلد: لقد جئت للحديث معك حول عمليات (الإرهاب) التي يحرض عليها رجالك وينفذونها... لقد قام رجالك مؤخَّراً بعملية دنيئة استهدفت سجن أبو غريب، حيث أصابوا وقتلوا أكثر من خمسين أمريكيًّا، كما أنهم قتلوا عدداً من المقبوض عليهم بتهم مختلفة، إنَّ رجالك يستعينون بالإرهابيين من كل أنحاء العالم وهم يهددون التجربة الديمقراطية في العراق.

صدام حسين: وما هو المطلوب بالضبط؟

رامسفيلد: أنا أعرض عليك عرضاً واحداً وهو أن يُفرج عنك وتختار لنفسك منفى اختياريًّا في أيِّ بلد تشاء بشرط أن تظهر علي شاشة التليفزيون لتعلن إدانة الإرهاب وتطالب رجالك بالكف عن هٰذه الممارسات.

صدام حسين: وهل حصلت على موافقة رئيسك علي هٰذا العرض؟

رامسفيلد: نعم هٰذا العرض تَمَّ الاتفاق عليه في جلسة شارك فيها الرئيس ونائبه ووزيرة الخارجية ورئيس جهاز الاستخبارات، وقد كلفت بإبلاغك بهٰذا العرض.

صدام حسين: إنَّهُ ثمنٌ بخس.

رامسفيلد (بلهفة): مستعدون أيضا لإشراك عناصر مقربة منك في الحكم.

صدام حسين: وماذا أيضا؟

رامسفيلد: سنقدِّم لك إعانة مالية محترمة وسوف يحفظ أمنك وأمن أسرتك في البلد الذي ستختاره.

صدام حسين: هل تريد أن تسمع شروطي؟

رامسفيلد: يا حبذا.

صدام حسين (بلغة فيها كثير من الغرور والتعالي): أنا أريد أولاً منك أن تحدد لي جدولاً زمنيًّا للانسحاب من العراق، وأن تلتزم به حكومتكم أمام العالم، وأن تبدؤوا عملية الانسحاب علي الفور.

وأنا أطلب ثانياً... الإفراج فوراً عن كافة المعتقلين العراقيين والعرب في السجون التي أقمتموها أو تلك التي قيدتم فيها حرية عشرات الألوف من شرفاء العراق.

وأطلب ثالثاً منكم... التعهد بتقديم التعويضات الكاملة عن الخسائر المادية التي لحقت بالشعب العراقي من جراء عدوانكم على بلدنا منذ أم المعارك في عام ١٩٩١م وحتى اليوم، وأنا أقبل بالاستعانة بلجنة دولية وعربية لتقدير لهذه الخسائر.

وأطلب رابعاً... أن تردوا الأموال التي نهبها رجالكم من خزائن العراق ونفطة خاصة لهذا المجرم **بريمر** وأزلامه من الخونة والمارقين.

وأطلب خامساً... إعادة الآثار التي سرقتموها وسلمتوها لمهربي الآثار، فهذه كنوز لا تقدر بمال الدنيا، لأنَّها تحمل تاريخ العراق وحضارته صحيح أنكم لا تملكون حضارة ولا تاريخاً وأنَّ عمر بلدكم لا يتجاوز بضع مئات من السنين،

ولكن كل ذلك لا ينبغي أن يبرر سرقاتكم وحقدكم علي حضارة العراق وثروة العراق.

وأطلب سادساً... أن تسلموني أسلحة الدمار الشامل إذا كنتم قد عثرتم عليها وأن تعيدوا إلينا حياة كل الشهداء الذين أزهقت أرواحهم، وأن تردوا شرف الماجدات العراقيات الذي سلبتموه.

رامسفيلد: هل هٰذا نوع من السخرية؟

صدام: لا، بل هٰذه هي الحقيقة المرة، التي تعرفونها... يا سيد **رامسفيلد** أنتم ارتكبتم أكبر جريمة في التاريخ ضد بلد عربي مسالم... لقد التقينا سويًّا في الثمانينيات، هل تذكر عروضك؟

رامسفيلد: دعنا من الماضي، نحن بصدد إعادة تقويم مواقفنا منكم ومن العديد من القوى التي ناصبتنا العداء في الماضي، نحن قررنا أن نتحاور مع الإسلاميين المعتدلين، وليس لدينا مانع في وصولهم للسلطة عبر صندوق الانتخاب بل الأهم من ذٰلك أنَّنا قرَّرنا أن نفتح قنوات للحوار مع منظمات (إرهابية) مثل حماس والجهاد وحزب الله الموالي لإيران، وأيضا منظمات أصولية أخرى في العالم كله، بل حَتَّى لدينا مشروع للاتصال بحركة طالبان في أفغانستان لدراسة مشاركتها في السلطة مقابل التخلي عن السلاح.

صدام: إذن بدأتم تعيدون التفكير في نهجكم الخاطئ؟

رامسفيلد: إنَّهُ التَّطور الطبيعي للأمور، نحن نسعى إلى نشر الديمقراطية في البلدان والحركات الخاضعة للاستبداد كافة.

صدام حسين: أفلحتم إن صدقتم، أنا أعرف حقيقة أهدافكم، وإذا كنتم صادقين حقًّا فعليكم أن تبدأوا فورا أنتم وحلفاؤكم الانسحاب من العراق، وعليكم أيضا أن تراجعوا موقفكم الداعم لإسرائيل. إنني أعرف أن رئيسك عنيدٌ ومكابرٌ وليس صادقاً.

رامسفيلد: إنه رئيس ديمقراطي منتخب، وليس حاكماً دمويًّا مثلك.

صدام: الإرهاب صناعتكم والكذب أسلوبكم.

رامسفيلد: إن هٰذا العرض هو فرصةٌ تاريخيَّةٌ لكم، سنفرج عنك وسنتشاور معك في كلِّ ما يخص شئون الحكم في العراق، إذا رفضت هٰذا العرض فالفرصة لن تعوض.

صدام حسين: أنا لا أبحث عن الفرص، ولا أبحث عن طريق لإنقاذ رقبتي من حبل المشنقة التي نصبتموها للعراق كله، لو أردت ذٰلك لقبلت بالعرض الروسي وأنقذت ولديَّ وحفيدي من الشهادة، أنا لا أعرف ما هو مصير أسرتي وبناتي وأحفادي، ولكن ثق في أنَّني مهتم بكل مواطن عراقيٍّ وبمستقبل العراق العظيم أكثر من اهتمامي بنفسي وأسرتي.

لقد سبق أن عرضتم عليَّ قبل ذٰلك عن طريق رجالكم أن أقرَّ بأن أسلحة الدمار الشامل هُرِّبت إلى سوريا وقلتم إن الثمن هو الإفراج عني، فرفضت وها أنذا أكرر الرفض مرَّة أخرى.

رامسفيلد: أنا لا أريد منك رفضاً، أنا أريد منك التفكير، نحن نعاود تقويم مواقفنا في الوقت الراهن، نحن نريد وقف الدماء التي تتدفق من كلا الجانبين، ولذٰلك يأتي عرضنا من منطق القوة وليس من منطق الضعف... لقد

طلبنا من **جلال الطالباني** أن يدلي بتصريح ينفي فيه أية نوايا لإعدامكم كبادرة حسن نوايا منا، ونحن لدينا استعداد لمراجعة موقفنا كاملاً من العمليَّة السياسية في العراق بأكملها وأن نتحاور معك ومع رجالك في هٰذا الأمر.

صدام حسين: هل أنتم مستعدون للانسحاب أم لا؟

رامسفيلد: يمكن أن نبحث إعادة الانتشار، إن قواتنا أعدت قواعد للبقاء فترة طويلة يمكن أن ننسحب من الشوارع والمدن ولكن سنبقي في القواعد لفترة من الوقت.

صدام حسين: إذن أنتم تريدون عميلاً جديداً يضاف إلى هٰذا الطابور من العملاء، لا يا سيد **رامسفيلد**.. لا تنس أنك تتحدث مع **صدام حسين** رئيس دولة العراق.

رامسفيلد :لكنك خسرت السلطة.

صدام حسين: لم يبق لي سوي الشرف، والشرف لا يباع ولا يشترى.

رامسفيلد: لكن الحياة لها قيمة لا تقدر.

صدام حسين: لا قيمة للحياة من دون الكرامة، وأنتم سلبتم العراق كرامته عندما دنستم أرضه وسوف نسترد كرامتنا سواء بقي **صدام حسين** أو استشهد.

رامسفيلد: إن أنصارك الذين تحاورنا معهم قالوا لنا إنك صاحب القرار الأول والأخير، هل كانوا يتوقعون رد فعلك؟

صدام حسين: بالقطع هم يعرفون أن **صدام حسين** لا يستطيع أن يتراجع علي حساب وطنه وكرامته.

رامسفيلد: التاريخ سيحملك مسئولية الدماء التي تسال في العراق.

صدام حسين: بل التاريخ سيحاكمكم علي جرائمكم... لقد حذرتكم من قبل وقلت لكم ستنتحرون علي أسوار بغداد، وها أنتم تدفعون الثمن، أرجوك أن تذهب إلى لندن وتقرأ سجلات وزارة الخارجية البريطانية لتعرف بعضاً من ملامح كفاح الشعب العراقي في مواجهة أصدقائكم البريطانيين الذين تكررون أخطاءهم وتشركونهم معكم... الشعب العراقي شعب عنيد ولا يخاف الموت... والمقاومة أقوي مما تتصورون ولذلك أبشركم بالمزيد.

عند لهذه اللحظة قرَّر **رامسفيلد** أن يغادر المكان غاضباً وهو يتمتم ببعض الكلمات وكأنه أراد أن يقول: لو كان الأمر بيدي لأعدمته فوراً، ولكن ماذا نفعل، وكيف نوقف ساحة الإعدامات التي نصبتها المقاومة في كلِّ شوارع وحواري وقرى ومدن العراق للجيش الأمريكي وحلفائه وعملائه؟!

١٩ اكذب وصدق كذبتك

العدد الحالي لمجلة المحترم (أيسكواير) يتضمن قصة رعب، تعذيب، قتل، أكاذيب، فساد ورغبة تامة من ناحية سلطات أمريكية لتصديق أي شيئ يعزز جداول أعمالهم المضادة أو المعادية للعراق[٣٨]. المؤلفة للمقال هي سارة سولوفتش والمقدمة للمقالة تقرأ[٣٩]:

في كلِّ العراق، كانت **جومانة حنا** أشجع شاهدة لرعب نظام **صدام**، تتحدث للأمريكان عن التعذيب والاغتصاب والقتل الجماعي. في واشنطن، أصبحت **جومانة حنا** رمزاً فعالاً لعمليَّة تحرير العراق، وجلبت إدارة **بوش حنا**

(٣٨) . سنقدم المقال كما هو بترجمته حرفيًا من دون أي تغيير ما خلا تصويب بعض الأخطاء التي قد ترد.

(٣٩) . مالكولم لاگوش: **القصة الحزينة الأخرى** . ترجمة دجلة وحيد . موقع شبكة البصرة المقال رقم ٩٥٤٨ أرسل في ٠٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٥م. منشورة في مجلة أيسكواير عدد الأحد/الإثنين ٢٣، ٢٤ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٥م.

وأطفالها إلى الولايات المتحدة لحمايتهم. بعد ذلكَ اكتشفت المؤلفة الحقيقة المروعة جداً.

دعنا نبدأ مع **جومانة حنا** وقصتها المدهشة للتحمل الإنساني التي دونت في صحيفة الواشنطن بوست في مقالة بارزة في عام ٢٠٠٣م.

طبقا لما قالته **حنا**، أنها أرادت أن تتزوج رجل من أصل هنديٍّ، لٰكن حرم **صدام حسين** كلَّ الأجانب من أن يتزوجوا في العراق. **حنا** كانت تمتلك في الماضي مؤسسة البيع بالمفرد والتي كانت زوجة **صدام** تتسوق فيها، لذا اعتقدت بأنها تقترب من النظام لكسب الرخصة لزواج خطيبها.

جومانة حنا كانت تاجرةً ناجحة، وقد درست في جامعة أوكسفورد من سنة ١٩٨٢م إلى سنة ١٩٨٤م، حيث إنها حصلت درجة الماجستير في المحاسبة.

لقد منحت موعداً لمقابلة **عدي بن صدام**. انتظرت في غرفة للاجتماع لمدة ساعتين، وبعد ذلكَ ظهر بضعة رجال الذين وضعوا قلنسوة (غطاء) سوداء على رأسها وسحبوها بعيداً.

للسنوات الثلاث التالية، دخلت في سجن الكلاب الطليقة. لقد اغتصبت مراراً وتكراراً، لوط بها، ضربت، أعطيت صدمات كهربائية وتحملت كلَّ طريقة من التعذيب المبتكر.

زوج المستقبل **لحنا** قتل من قبل المسؤولين العراقيين. في السجن، عذبت وإضافة إلى ذلكَ فإنها رأت نساء أخريات يعذبن أيضا. زعمت بأنَّ نساء،

شابات عمرهن يتجاوز ١٦سنة، صعقوا بالكهرباء ودفنوا أحياءاً. البعض الآخر أكلوا أحياءً من قبل الكلاب. إجمالا، قالت كان هناك حوالي ١٢٠ سجينا دفنوا في ساحة السجن.

بعد فترة قصيرة من تسلم **بول بريمير** زمام مسؤولية العراق، قابلته **جومانة حنا** وأخبرته بقصتها. لقد تحركت خلجاته وبدأ يذرف الدموع. لقد قدمت إلى المسؤولين الأمريكان وعوملت مثل بطلة معاصرة بدرجة رائعة الأبعاد .

شيئ واحد حدث في موازاة الطريق الذي كان يمكن أن يرمي قصتها في محض الشك، لٰكنَّ المسؤولين الأمريكيين أوقفوا أي استجواب أو تساؤولات حول قصة **جومانة حنا**.

طلب من طبيب توليد محترم في بغداد لفحص **جومانة حنا** للتأكد من صحة الجروح العديدة والندب التي ادعت أنَّها كانت تمتلكها. بعد الفحص، قال إنَّهُ بالتأكيد لم ير أيِّ علامة تشير إلى التعذيب أو الضَّرر الجسماني. **حنا** صرحت فوراً بأنَّهُ كان نفس الطبيب الذي أمر بقتل النساء في السجن. السلطات الأمريكية ادعت بأنَّهُ طبيب غير كفؤٍ ولم تأخذ بعين النظر نتائج فحصه.

التقت **جومانة حنا** في الولايات المتحدة بكلٍّ المسؤولين الكبار لزمرة **بوش. بول فولڤوفتز** أخبر لجنة العلاقات في وزارة الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ، شجاعتها في الظهور للعرض على المسؤولين الأمريكان فيما يمكن أن

تكون باحتمال كبير «معلومات موثوقة تساعد التحالف لاستئصال جذور البعثيين القتلة».

جومانة حنا كانت تعتلي قمة من الشعبية وقد قررت أن يكتب لها كتاب عن حياتها السابقة. بعد البحث والتحري، اختارت **سارة سولوڤتش**، التي قابلتها للمرة الأولى في ٢٤ آب/أغسطس، ٢٠٠٤م. تقول **سولوڤتش**، في كلماتها الخاصة، بأنَّها على الفور تأثرت بهٰذه الإنسانة الرائعة. لقد سحرت بقصة **حنا**.

مرة في أثناء التحضير، بدأت **سولوڤتش** بملاحظة بعض الخلافات في القصة. هي كانت فضولية وسألت نفسها متعجبة كيف أن شخصاً تخرج في جامعة أوكسفورد يتكلم اللغة الإنجليزية تقريباً بصورة غير مفهومة. في بادئ الأمر، فكرت بالاتصال بأكسفورد، لٰكن بسرعة عكفت عن هٰذه الفكرة وخمَّنت بأنَّ الصَّدمة النفسية رُبَّما كانت السَّبب في التَّضارب العرضي لأقوال **حنا** أو قلة في الطلاقة في اللغة الإنجليزية.

الولايات المتحدة حاولت إيجاد بقايا الـ ١٢٠ سجيناً الذين ذكرتهم **حنا**، ولٰكن من دون جدوى. عندما بدأ الحفر، أوقف العمليَّة طقسٌ عاصفٌ. في النهاية، استؤنف الحفر وأُعلن بأنَّ العظام قد وجدت. تنفست **سولوڤتش** الصعداء واعتقدت أن قصة **جومانة حنا** كانت حقيقية. وعندما رجعت نتائج اكتشاف العظام، بعد ذٰلكَ، تغيَّرت الأشياء. العظام كانت عظام بقرة. لم يوجد أي أثر لبقايا إنسانية على الرَّغْمِ من كثافة عملية الحفر وشدته.

الآن، لا بُدَّ من **سولوڤتش** الاتصال بجامعة أوكسفورد. فوجدت أنَّهُ، ليس فقط أن **جومانة حنا** لم تحضر في المعهد بل إن جامعة أوكسفورد لم يكن لديها برنامج محاسبة تعرضه للدراسة.

القطة كانت خارج الحقيبة. الحقيقة وراء حياة **جومانة حنا** وجدتها **سولوڤتش** في بغداد .

لقد قضت وقت في السجن، ولٰكن لسببٍ شرعي. لقد خدعت العديد من العراقيين وسرقت منهم مبالغ طائلة من المال تحت غطاء وكالة تدبر هجرة عراقية إلى الولايات المتحدة. إنَّها كانت مخادعة ومزيفة .

إضافة إلى ذٰلكَ، إن زوجها لم يكن ميتاً. أولاد عمه أخبروا **سولوڤتش** كل شيء حول حياة **حنا**. لا تعذيب، لا زوج ميت، مجرد مخادعة استحق قضاء بضعة أشهر في السجن. كان يجب أن توضع علامات استفهام حول قصتها منذ البداية. عندما قالت بأنَّهُ كان شيء غير شرعي لأجنبي الزواج في العراق، لم يكن هناك أحدٌ قد حقَّق عن صحة إدعائها لهٰذا. كانت كذبة منذ البداية. الزواج كان بالتأكيد مفتوحاً للأجانب في العراق في التسعينات.

قامت الواشنطن بوست أمس بإجراء سحب مقالتها الأصلية التي تمدح **جومانة حنا** كبطلة. وقالت:

ـ أبعد ما يكون عن قصة حول اللاخضوعية للروح الإنسانيَّة، يبدوا الآن أن حكاية **حنا** تفتح نافذة على سذاجة التحالف- الرغبة لاعتقاد أيِّ شيء يلائم جدول أعمالهم.

وصفت **سولوڤتش** موقفها بعد أن وجد بحثها الحقيقة: دخلت في هٰذا المشروع متوقعةً بأنَّني سأعمل مع بطلةٍ أصيلةٍ. الآن، أعتقد أنَّها في أحسن الأحوال كذابة بشكل مرضي (باثولوجي)، في أسوأ الأحوال، فنانة احتيال ذكية جدًّا. **جومانة** استغلتنا كلنا.

هٰذا كان فقط أحد الخطوط الطويلة للكذب الذي عرض حول نظام البعث. الأكاذيب التي دفعت الرأي العام الأمريكي إلى الاعتقاد بأنَّ الملايين قتلت عشوائيًّا بالطرق الوحشية. الأكاذيب مثل قتل الأطفال الرضع في الكويت من قبل الجنود العراقيين: تسمم ٥٠٠٠ كردي بالغاز في حلبجة (محاموا **صدام** الآن لديهم العديد من شهود العيان الذين سيشهدون بأن إيران سممت الأكراد بالغاز)، أكثر من ٤٠٠٠٠٠ جثة وجدت في قبور جماعية في ٢٠٠٣م في جنوب العراق (العدد نقص إلى أقل من ٥٠٠٠ وعمليًّا جميعهم كانوا من الذكور في سن التجنيد ممن اشتركوا في التمرد الشيعي عام ١٩٩١م، والعديد من الآخرين.

ليس هناك أيُّ شخصٍ في الحكومة الأمريكية اعتذر عن استعمال هٰذه الأكاذيب. ولا واحد اعتذر إلى الرأي العام الأمريكي لخلق الحالات التي جعلت الناس تشعر بأنهم غير أمنين. مع ذٰلكَ، العراقيين دون البشر .

الحادثة المشهورة الأخرى كانت الإعلان عن أنَّ **صدام حسين** استعمل مكائن تقطيع البشر في سجن أبو غريب. مرة أخرى، الادعائات كذبت في النهاية، لكن الضرر كان قد عمل. فيما يلي قطعة من كتابي القادم، «المطرقة الثقيلة والنملة»، والتي تتعلق بمكائن التقطيع.

جـزار بغـداد: الأطفـال الرضـع قتلـوا... نـاس غليـوا بالحـامض... مكـائن تقطيـع البشـر... تسـميم شـعبه بالغـاز... وأي شـيءٍ آخـر يبيـع الصـحف في التعزيـز إلى غـزو العـراق في مـارس/آذار ٢٠٠٣م. غـير **صـدام** طـرق التعـذيب وهـو الآن يسـتعمل مكـائن التقطيـع الصـناعية للـتخلص مـن أعدائـه. النصـير القيـادي لهـذه الادعـاءات كانـت النائبـة العماليـة البريطانيـة **آن كليـــود** في ١٨ مـــارس/آذار ٢٠٠٣م، أيـــام قبـــل بـــدأ العمليـــات العسـكرية، نشـرت لهـا الصـحيفة البريطانيـة التـايمز مقالـة تحـت عنـوان «شاهد رجال قطعوا، ثمَّ قل بأنك لا تدعم الحرب».

ثلاث أيام قبل الغزو، تكلمت **كليود** في مجلس العموم ووصفت كيف أن سجناء ذكور في العراق أسقطوا في ماكنة «صممت لتقطيع البلاستك» وبقاياهم المثرومة «وضعت في أكياس بلاستيكية» ولاحقاً استعملت «كطعم للأسماك». وزعمت بأنه أحياناً، يرمى الضحايا في المكائن بشكل حيث إن أقدامهم تكون في البداية لكي يمكنهم مشاهدة تشوههم لمدة قصيرة قبل الموت.

اسـتعمل رئـيس الـوزراء الأسـترالي **هـوارد** القصـة لفائدتـه العظيمـة. لقـد دعـم الحـرب وكـان علـى وشـك إرسـال القـوات، علـى الـرَّغْمِ مـن معارضـة شـديدة مـن جمهـوره. بعـد أن ظهـرت القصـة في التـايمز، خاطـب أمتـه وقـال بأنـه أراد إيقـاف الجـرائم المسـتمرة للنظـام البعثـي في العـراق بضـمنها «مكـائن تقطيـع البشـر» الـتي اسـتعملت كـأداة لقتـل نقـاد **صدام حسين**.

استعمل الآخرون هٰذه القصة للعلف المعادي **لصدام**. صرح **أندرو سوليڤان** الصحفي في الصنداي تايمز لبريطانيا العظمى بأن تقرير **كليود** أظهر «بوضوح، بشكل غير قابل للنسيان، لا يمكن إزالته بأنَّ نظام صدام شريرٌ». وصفت **ميلاني فيليبس** المعلقة في صحيفة الديلي ميل (البريد الصحفي اليومي) المكائن القاطعة التي فيها «أصبحت الأجسام معلوكة من القدم إلى الرأس». في صحيفة التلغراف، انتقد **مارك ستيين** حركة ضد الحرب بهٰذه الكلمات، «إذا كان هو خيار بَيْنَ أن تدع واحداً من مالكي المشروبات الغازية من أصدقاء **دك تشيني** أن يحصل على قطعة من سوق مشروبات الناصرية اللاكحولية أو يسمح **لصدام** بالاستمرار في تقديم أقدام شعبه أولاً لتغذية مكائن تقطيع البشر لعقد آخر أو ثلاث، سيختار ناشطي السلام الأقل شرًّا من الخيارين. وبمعنى آخر إرفع أو حطم الممزقات».

أظهر البيان الأخير الطرق السخيفة التي يستعملها بعض الصحفيين المؤيدين للحرب لكي ينشروا آرائهم وأفكارهم. التقييم المعتدل لتدخل **تشيني** ظهر بأنه بعيد عن الواقع. في أثناء احتلال العراق، ظهرت العديد من القصص حول الممارسات الاقتصادية التي بذل **تشيني** جهوداً فيها لمساعدة أصدقائه. ليس فقط تنازلات المشربات الغازية، ولكن بلايين الدولارات خصصت للشركات المختلفة، دولارات ملطخة بالدماء لأنها أحرزت فقط بعد قتل عشرات الألوف من العراقيين.

استعمل صحفيون مؤيدون للحرب العديد من الكلمات الملونة والمبدعة لوصف ماكنة التقطيع. طبقا **لتريڤور كافاناچ**، المحرر السياسي

للصحيفة اليومية البريطانية ذي صن: «مقاومة بريطانيا للحرب تغيرت السنة الماضية عندما اطلعنا على كيف أنَّ السادي **صدام** أشرف على التعذيب الشنيع شخصيا للعراقيين. تأرجح الرأي العام وراء **طوني بلير** عندما علم الناخبون كيف أطعم **صدام حسين** ماكنة التقطيع الصناعية بأقدام المنشقين أولا حين ثرمهم.

كما في حالة الحاضنات الكويتية المزعوم إرسالها إلى بغداد، فإن مكائن التقطيع لم يكن لها وجود. لكن، كلتا القصتين دفعت جمهوراً لدعم ذبح عشرات الآلاف من الناس ودمار بلاد.

عندما سألت **آن كليود** عن مصادر معلوماتها، قالت بأنَّها قابلت عراقيًّا في شمال العراق. في النهاية سألت عن هوية الشخص وإذا كان هو يقول الحقيقة. أخبرت **كليود بريندن أونيل** الصحافي في صحيفة سبيكتيتر (المشاهد): «سمعناها من ضحية، نحن سمعناها واعتقدنا بها». وعندما سألها **أونيل** إذا كان أي شيء عمل لتدقيق مقولة الضحية ضد مقولات شاهدين آخرين أو دلائل أخرى لوجود ماكنة التقطيع، أجابت، حسناً، لا».

أفترض أنَّ الحوادث قد وقعت في سجن أبو غريب، معهد كسب شهرة عالمية بسبب تعذيب السجناء فيه، تعذيب ارتكبته الولايات المتحدة ضد النزلاء العراقيين. عندما كل شيء قيل وعمل، حوادث التقطيع، التي اكتسبت شهرة عالمية، اعتمدت على قصة غير موثقة لشخص واحد أجريت معه مقابلة في شمال العراق، شخص اسمه غير معروف **لكليود**. لهذا، في حد ذاته، ليس دليلاً محتملاً كي يستعمل لإرسال بلاد إلى الحرب.

بدأ **أونيل** يتعقيب الناس الذين يمكنهم إما أن يؤيدوا أو ينكروا شرعية وجود مكائن التقطيع المزعوم استعمالها لقتل السجناء. وجد طبيباً عراقيًّا عمل في مستشفى مربوطة بالسجن والذي عمل في أبو غريب عامي ١٩٩٧م و ١٩٩٨م. الآن هو يجري الامتحانات الطبية للحصول على شهادة إجازة العمل كطبيب لمزاولة مهنة الطب في بريطانيا العظمى. عمل الطبيب كان لملازمة السجناء الذين أعدموا. قال **لأونيل**: «نحن لا بُدَّ أن نرى السجناء الموتى للتأكد من أنهم ماتوا. بعدها نكتب شهادة الوفاة لهم».

دحض لهذا الطبيب أي قصص حول مكائن التقطيع. سأله **أونيل** إن كان هو قد حضر في وقت ما أو سمع عن السجناء الذين قطعوا .أجاب: «لا». ثمَّ سأله إذا كان أي من الأطباء الآخرين في السجن تكلم عن ماكنة التقطيع استعملت لإعدام السجناء. الطبيب رد: «لا، لا، أبداً. طريقة الإعدام كانت التعليق، على حد علمي، تلك كانت الطريقة الوحيدة للإعدام استعملت في أبو غريب».

حدث شاذ آخر وقع والذي في بادئ الأمر أيد قضية التقطيع، ولكنَّهُ عُري بسرعة وأبرز بوصفه حيلة. فرد سمي **كينيث جوزيف**، ظهر وقال إنَّهُ ذهب إلى العراق ليكون درعاً بشريًّا، بينما هو كان موجوداً في البلاد، سمع العديد من قصص الرعب، ترك العراق ومعه شريط فديو مدته ١٤ ساعة من المقابلات المسجلة، وبعدها أصبح من دعاة الحرب. في الحادي والعشرين من آذار/ مارس ٢٠٠٣م، أرسلت اليو بي آي

قصة عن **جوزيف**، يرتكب كذبة مرة أخرى. قال **جوزيف** عمَّا سمعه في العراق: «صدمتني للعودة إلى الحقيقة والواقع، بأنَّ حكايات التعذيب والقتل البطيء العراقية جعلاني أشعر بالمرض، مثل وضع الناس في ممزقات ضخمة للمنتجات البلاستيكية، أقدام أولا لكي بمقدورهم سماع صراخهم بينما أجسامهم أصبحت معلوكة».

تعرضت شهادته بسرعة للانتقادات الحادة. **كارول ليبتون**، صحفية أمريكيَّة تحرت قصته وقالت: «لم يكن أي من الدروع البشرية الذين اتصلت بهم قد سمع عن **جوزيف**». لقد لاحظت ليست صورة واحدة أو أي قطعة أبداً من الساعات الـ ١٤ من شريط الفيديو قد عرضت. **يوهان هاري** معلق صحفي مؤيد للحرب يعمل لصحيفة الإنديبيندينت قد ود أن يعتقد بقضية **جوزيف**، لَكنَّهُ لم يستطع بعد التحقيق. **هاري** قال: «إن من الممكن أن **جوزيف** واحدٌ من اللذين يتكلمون الروث أو الخريط».

عندما تعرضت للضغط لإبراز برهان وجود ماكنة التقطيع، كتبت **كليود** مقالة أخرى للتايمز في ١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٣م، مع، الذي قالته، كان برهانا صلبا. قالت بأنها شاهدت كتاب أظهره لها مراسل أخبار فوكس والذي وصفته على أنَّهُ «كتاب تدوين دقيق بشكل مخيف»، من السجن. وقد سألت إذا كان باستطاعتها القول من الذي جمع الكتاب وقالت: «لا، أنا لا أستطيع». وعندما سئلت: أين كان في ذَلكَ الوقت، قالت: «أنا لا أعرف». ثمَّ سئلت: عن اسم مراسل فوكس الذي أظهر

الكتاب لها. قالت: «أنا ليس لي فكرة». أخيراً، سألت إذ هي قرأت الكتاب كاملاً، فردت: «لا كان الكتاب مكتوب باللغة العربية».

عندما سأل عن استعمال البعثيين لماكنة التقطيع على البشر، قال الناطق الرسمى لمنظمة العفو الدولية: «دققنا مع زملائنا هنا، ونحن ليست لنا معلومات حول ماكنة التقطيع». **ويدني براون** من منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان قال :«نحن لا نعرف أيَّ شيئ عن ماكنة التقطيع، ولم نسمع عن ذَلكَ الشكل المعين للإعدام أو التعذيب».

٢٠ لاغوش والتضليل الإعلامي

أجرى الصحفي الشهير **مالكولم لا غوش** مقابلةً مع ضابط الاستخبارات الأمريكي السابق **أيريك مي** تحدث فيه عن موضوعات متعددة منها معارك بغداد وخاصَّةً معركة مطار صدام التي رأى فيها أكبر خدعة للتغطية الإعلامية على مجرى وسياق القتال، وتحدث كذلكَ في الطريقة الإعلامية التي تستخدمها الحكومة الأمريكيَّة والبنتاچون للتأثير في وسائل الإعلام الرسمية والتلاعب بسيل الأخبار بما يتفق مع الرواية الرَّسمية الأمريكية.

فيما يلي القسم الثاني من الحوار الذي نشرته مواقع متعددة منها شبكة البصرة التي نقلناه عنها.

مالكولم لا غوش: هل لك أن تحدثنا عن إعلام الحرب وفي أية ساحات القتال يتم اختباره؟

الجنرال أيريك مي: إننا نعيش من دون أية شكوك حرباً إعلاميَّة. وعندما حذر **آيزنهاور** من نفوذ المؤسسة العسكرية الصناعية فإنَّهُ يمكننا التحدث هنا وفي مصطلحات الكاتب **أورويل** عن المؤسسة العسكرية الصناعية الإعلاميَّة. إنَّ الإعلام الحربي يتم عَبْرَ التلاعب في الخبر أو الحدث وأكبر مثالٍ على ذَلكَ قصة اعتقال الرئيس **صدام حسين**. وإنِّي ما زلت أتذكر بأن عدداً من وسائل الإعلام بدأت تتذمر من ذَلكَ لأن تلك الحكاية الرَّسمية التي روجتها الإدارة الأمريكيَّة بدأت تتفتت شيئاً ما. إنَّ أي خبرٍ إعلاميٍّ ينشر يكون قد تم التلاعب فيه. ولو أصغيت إلى **رامسفيلد** فإنَّه يكرِّر من دون انقطاع: «يجب علينا كسب الدعاية في الحرب وعلينا كسب الإعلام الحربي». إن الإعلام في زمن الحرب ليس هو سوى إعلامٍ حربيٍّ إلا أنَّهُ لا أحد يريد الاعتراف بوجود إعلامٍ حربيٍّ إذ إنَّ هٰذا الاعتراف سيقودنا على نحوٍ جليٍّ إلى مضاعفات قد تعتبر نوعاً من الخيانة.

مالكولم لا غوش: كيف يتم التكتم على أعداد الأمريكيين القتلى أو التغطية على تلك الخسائر في معارك بغداد؟ هل من الممكن إخفاء أو شطب ما يقارب الأربعمئة أو الخمسمئة جندي بَيْنَ عشية وضحاها؟

الجنرال أيريك مي: لقد حظيت هٰذه القضية بأولى اهتماماتي عندما بدأت بالتَّحرِّي حول معارك بغداد. وإثر متابعتي الأخبار على شبكة

السي إن إن في الرابع من نيسان ٢٠٠٣ أمضيت أسبوعين أحلل فيها الأخبار التلفزيونية. حينها قررت الذهاب إلى فورت ستيوارت في ولاية جورجيا حيث مقر الفرقة الثالثة للمشاة والفرقتين الثالثة والسابعة للخيالة. وحال وصولي المنطقة تأكد لي أنَّهُ جرت معارك في بغداد بواسطة أحد قساوسة الجيش الأمريكي والذي أكد لي أنَّ الجيش الأمريكي كان يمارس التغطية ويتلاعب بالإعلام وفق شهواته وأنَّهُم أي العسكريين الأمريكان يسيطرون على جميع حواس الجمهور وعلى سمعه وبصره وعلى أفعاله.

واكتشفت أن هناك تكتم وإخفاء الحقائق في مقر قيادات هٰذه الفرق. وتبيَّن لي فيما بعد أن زوجات الجنود في مقرات الفرق المذكورة تعرضن لمضايقات وقد وزع عليهن خليط من الأدوية المهدئة للتَّاثير في نفسيتهم وعقولهن، لغرض التعتيم. أمَّا الذين نجوا من الفرقة الثالثة للمشاة فإنهم وصلوا المكان كراكبي قطار منتصف الليل، أي لم يكن أحدٌ في انتظارهم في المحطة. لقد كان عدد الجرحى كبيراً جدًّا بحيث إن المستشفيات ما عادت تستطيع احتوائهم. فكانوا ينامون في الهواء الطلق في الحقول. إنَّ السَّبب في ذٰلكَ حسب رأيي أنهم، أي سلطات الجيش الأمريكي، أرادت حشر جميع الذين جرحوا في معارك بغداد في منطقةٍ عسكريةٍ واحدةٍ ليتسنى لها السيطرة على الأخبار. أما بخصوص الجنود الناجين وعائلاتهم فإنهم أُجبروا عنوةً على السكوت، وأستطيع القول أيضا إنهم تعرضوا للبلطجة وتمَّ زرقهم بمخدرات.

في شهر كانون الثاني عام ٢٠٠٤ إحدى الصحافيَّات المستقلات من شمال ولاية نيويورك جاءت لمساعدتي في تعقب هٰذه القضية واكتشفت أنَّ ما

يقارب المئة زيارة سرية تمت لبيوت العوائل المنكوبة وذلكَ يعني مجيء العسكريين الرسميين المعنيين بإبلاغ الأرامل بقتلاها وبما جرى لمئة بيت... لقد عَمَدَ هؤلاء إلى سحب النساء إلى خارج المدينة وبعيداً عن مقرِّ قيادات الفرق المذكورة. لقد اكتشفت هٰذه الصحافية قائمةً باسم ١٠٠ أرملة حرب، إذ إنَّ واحداً من ثلاثة جنود هم متزوجون. وكل شي مضى على ما يرام، وحددت أنا قائمة بما بَيْنَ ٣٠٠ أو ٥٠٠ جندي أمريكي قتل في المعركة. ولٰكن حالما بدأت الصحافية بالتَّحري تلقت تهديداً بالقتل. وقد نكون خسرنا ٥٠٠ قتيل وتلك كومة مهولة من القتلى. قل لي ما لذي يجري عندما يكون هناك ٥٠٠ تابوت يتم نقله بواسطة ٥٠٠ قطار يتوقف لتسليم البضاعة في ٥٠٠ مدينة صغيرة وقصبة مختلفة؟ إنَّكَ لن ترى أحدهم وهو يرسل بطاقة بريدية ليعلن أن هناك ٤٩٩ قتيلا آخر! لا أحد من الذين يبلغون بقتلاهم على علم أو اطلاع بأنَّ قتيلهم سقط في معركة كبيرة. إنَّ ذٰلكَ فيل من الحقيقة. حَتَّى العميان يحسون بوجود هٰذا الفيل والكل يحظى بركلة من هٰذا الفيل دون أن يعرف بأن هناك حيوان ضخم.

إنَّهُ ليس من الصَّعب مطلقاً التَّكتُّم على الخسائر البشريَّة. وكل ما عليك فعله هو التغاضي عن تقديم صورة منسجمة عن أن هناك معارك كبيرة جرت فعلاً. وأبلغ الأمثلة على ذٰلكَ معركتا الفلوجة حيث تمَّ التكتم على خسائر الجيش الأمريكي في المعركتين. إنه من السهل تفهم ما جرى في الفلوجة. وكذٰلكَ بالنسبة لمعارك بغداد. إنَّ العامة تجهل المذابح التي كانت تجري هناك. لقد استمر الأمريكان بالتكتم على خسائرهم. إنَّهُ من غير المعقول أن تكون هناك معارك من شارع إلى شارع واشتباكات راجلة بَيْنَ المتحاربين وتعلن بعد ذٰلكَ

أنك تخسر جنديين يوميًّا. إن الأمور لا تجري بهٰذا الشَّكل... لقد كانت هناك عمليات قتال لمجاميع عسكرية أمريكية ومازالت في مدينة الفلوجة.

مالكولم لا غوش: لقد أعلن جورج بوش الابن الانتصار في الأول من آيار ٢٠٠٣م، إذن لماذا يستمر في القتال إلى حد الآن؟

الجنرال أيريك مي: يجب علينا إدراك أنَّهُ تدور حاليًّا معارك طاحنة في بغداد... ويتمُّ التَّغطية عليها بوساطة معارك جانبية أخرى وهي حرب إسرائيل على لبنان. ومثالاً على ذَلكَ أنك عندما تقوم بنشر أخبار دعائيَّة بدلاً من الوقائع... الحقيقة تضيع. لقد قيل للشعب الأمريكي بأنَّنا استولينا على بغداد بسهولةٍ لا تمت إلى أرض الواقع بصلة، وكان ذَلكَ يعني تحقيق نجاحات في الخيال. والآن لقد استفاق الشعب الأمريكي. كالساحر وآلاعيبه فمثلاً عندما تصدق ما يقوله الساحر فإنك ستتيه على وجهك. وإنَّ الساحر سيتمكَّن منك. إنَّ الإعلام شبيه بألاعيب السحرة وبأنَّ التلفاز صندوق سحريٌّ وأن هناك جنيَّةٌ خرجت منه لتخبرنا بأننا نقوم بتعزيز قواتنا حول بغداد ليتسنى لنا استعادة بغداد... والسُّؤال المطروح هو بحق الأبالسة والشياطين أجمعين: ماذا يعني ذَلكَ هل أن ذَلكَ يعني أننا خسرنا بغداد؟ نعم لقد استمرينا بخسارة بغداد منذ اللحظة التي ذهبنا إليها.

مالكولم لا غوش: هل تحدثت عن هذا الموضوع مع أي عراقي شارك في معركة بغداد؟

الجنرال أيريك مي: هناك صحفيان اثنان كانا في بغداد نفسها تحدثا إلى جنود عادوا من المعارك. إن الأمر الأكثر أهمية الذي اقتبسته منهما هو أنَّ

معركة بغداد بدأت في المطار حيث تم سحق القوات الأمريكيَّة بُعيد ستِّ ساعات من بدء القتال والاشتباكات القريبة بَيْنَ المتحاربين ومن وجهة نظري أعتقد أن جنودنا بدأوا يعانون من نقص العتاد وأن أحدهم قرَّر استخدام السلاح النووي. إنَّ هٰذا الأمر يعترف به الجميع ما عدا الأمريكان.

الذي حدث هو أنَّ الجي آيز الأمريكان أغلقوا أنفسهم واحتموا في مدرعاتهم للتقليل من حدة انتشار الإشاعات النَّووية حيث تمَّ استخدام نوعٍ ما من الأسلحة النووية في معارك مطار صدام. ومنذ ذٰلكَ الحين تمت مراجعة العقيدة العسكريَّة الأمريكيَّة للسَّماح للقواويد الأمريكان لممارسة الفعل ذاته. وبمعنى آخر أنهم استخدموا هٰذه العقيدة بأثرٍ رجعيٍّ. إنَّ تخطِّي عتبة السِّلاح النووي لهو أمر تحيطٌ به بعض الضبابيَّة علما أنَّنا استخدمنا اليورانيوم المنضب مما يجعل هٰذه الحرب نووية بشكل جليٍّ. أكيد أنك تفهم الآن لماذا تمت التغطية على معركة بغداد الأولى... أنَّى لك الذهاب إلى حرب لاستئصال رجل شرير يملك أسلحة دمار شامل ولٰكنَّك في الواقع أنت الذي جلبت تلك الأسلحة!

مالكولم لا غوش: حسب رأيك هل جنت أمريكا أيَّ شيءٍ إيجابيٍّ من تنحية صدام حسين وحكومته؟

الجنرال أيريك مي: إنَّك تتذكر ما لذي كان يردده المعلقون لمعارضي الحرب: بربكم ماذا تقصدون؟ هل تظنون أنهم كانوا في وضع أفضل تحت حكم **صدام حسين؟**... وكانت هٰذه التعليقات كافيةً لسدِّ أفواه الجميع، لأن الكثيرين كانوا ما يزالون يؤمنون بعد سنة من الحرب بالأسطورة التي تقول إنَّنا حررنا

العراقيين. أما عدم الاعتراف بأن العراق كان أفضل في عهد **صدام حسين** سببه أن ذَلكَ أصبح من البديهيات الشفافة للجميع باستثناء الرئيس الجمهوري المسخ.

مالكولم لا غوش: هل تعتقد بأن حقيقة معركة بغداد ستتجلى يوماً ما في الصحف ووسائل الإعلام الرسمية؟

الجنرال أيريك مي: إنَّ وسائل الإعلام الرسمية لم تعد تحظى بأية أهميَّة. إنَّها حكمت على نفسها وأحرقت كلَّ أوراقها عندما وقعت عقداً شيطانيًّا للهرولة وراء الحرب من أجل النفط وإسرائيل. لقد قبلت لنفسها أن تكون بوقاً ذليلاً. إنَّها ليست وسائل إعلام تزودك بالأخبار الجدية النافعة... إنها ماكنة مساندة دعائية لا غير. وذَلكَ ما يقودنا إلى مصطلح الإعلام الحربي. واليوم فإنَّ المعلومات المهمة تصلنا بواسطة ما يمكنك تسميته وسائل الإعلام السرية /التحت أرضية، أو ما يسمَّى اليوم الإعلام المغاير أوالبديل ويعني ذَلكَ أنَّ شخصين مثلي ومثلك لدينا الخبرة الكافية لنكون أحد مقوِّمات وسائل الإعلام البديلة هٰذه ونستطيع بعدئذ الذهاب ومعاينة ما تبثه تلفزيوناتهم الرسمية من خلال ذَلكَ المنظور البديل.

إن أفضل المقابلات يمكن الحصول عليها خارج نطاق وسائل الإعلام الرسميَّة وإنَّ مقدرة الناس الذين لا يعولون على هٰذا النظام للقيام بعمل صحفي نوعي يعني أن هٰذه الوسائل مصيرها الفشل من دون شك. إني أريد مقارنة ذَلكَ بالسلطة الكاثوليكية عندما تمَّ اختراع الطباعة. إنَّ الشبكة الدولية الإنترنيت أصبحت بالنسبة لنا كالطباعة. إنه لم يعد باستطاعة أحد السيطرة على

المعلومات. وعندما تزعم بأنَّك حارس لهذا الباب القديم الكبير فإن شبكة الإنترنيت ستحدث تصدُّعات فيه لتسريب الإعلام من خلالها. إنَّ ما نسميه اليوم وسائل إعلام رسمية أنا أدعوها وسائل عميلة ويبرهن لنا التاريخ أن جميع العملاء لقوا المصير نفسه. إنَّهم خسروا السمعة والكرامة عند انتصار فئة الحق. عندما يتم فضح وسائل الإعلام الرسمية فإننا سنبدأ بكتابة القصة الحقيقية للحرب على العراق. إنك الآن تقوم بكتابة جزء منها. وفي منتهى الأمر سيعترف الجميع بمعركة بغداد ومعركة الفلوجة. لقد تم التستر على ذَلكَ حَتَّى الآن... ذَلكَ أنَّ جماعة **بوش** المتهرئة جدًّا ما زالت تسيطر على وسائل الإعلام العميلة والمتهرئة كذَلكَ... وذَلكَ من غير الممكن أن يستمر.

٢١ تشومسكي واحتلال العراق

الاحتلال الأمريكي للعراق أسوأ من نظام فيشي هو عنوان الحوار الذي أجريته صحيفة لاناسيون الأرجنتينية مع الفيلسوف الأمريكي **نعوم تشومسكي**. نورده كما هو حرفيًا بترجمة **باسل أبو حمدة**، نقلاً عن موقع شبكة البصرة، الذي نشر ترجمة هذا اللقاء في ٩ آذار/ مارس ٢٠٠٤م.

يتهمونه بأنَّهُ يصف الولايات المتحدة بأنها «الأمَّة الإرهابية الرئيسية»، ويعدُّه الكثيرون شيطاناً، أو معاديا للمسيحيَّة، أو على أقل تقدير ملاك الأكاديمية الأسود. وعنونت مجلة نيويوركية مقالة لها تدور حوله بأنه «محاسب إبليس». لذلك فإنَّ أيَّ لقاء مع **نعوم تشومسكي**، الأستاذ الجامعي والباحث والمنظر المشوق والشرس معاً، والذي كان له صوت مخالف فيما يتعلق بالحادي عشر من سبتمبر يظل فيه دائما الكثير من المفاجئ وغير المتوقع.

في البداية، يتحدث بصوت خفيض جداً، ويستمر بالوتيرة نفسها حَتَّى عندما يؤكِّد أن الاحتلال الأمريكي للعراق يعد أسوأ من نظام **فيشي** وأن الانتخابات تشترى وتباع في الولايات المتحدة أو أنه يجب محاكمة **بوش** جنباً الى جنب مع **صدام حسين**. مكتبه في معهد ماساشوستس للتقنية تقليدي بالكامل مع نافذة تطل على الرواق. **تشومسكي** يرتدي دائما الجينز وقميصا مكويًّا بشكلٍ سيءٍ وينتعل زوجا أبيض من الأحذية، أي الزي الرسمي لسكان الضواحي الأمريكية.

في الستينيات، كان **تشومسكي** مجرد واحد من ألوف المثقفين اليساريين الذين احتجوا على الحرب في فيتنام. لَكنَّهُ في المقابل بقي وحيداً من الناحية العملية عندما عارض القصف الأمريكي لأفغانستان. لذلك فليس مفاجئاً أن تحقق كتبه أفضل المبيعات بدءاً بكتاب «أسرار وأكاذيب وديمقراطية» ومرورا بكتاب «دول مارقة» وليس انتهاء بـ «هيمنة أم بقاء على قيد الحياة: السعي الأمريكي للسيطرة العالمية». ومن أجل من يبحثون في الولايات المتحدة عن أصوات تكسر الإجماع السائد فيما يتعلق بضرورة مواصلة شن الحرب على الإرهاب، فإن **تشومسكي** يمثِّل أحد تلك الأصوات القليلة.

إلى أي حد يبدل اعتقال صدام حسين المشهد السياسي في العراق؟

. لاعتقال **صدام** معنى رمزي لا أكثر، فالناس لم تعارض حرباً في العراق لأنها افترضت أن **صدام** ما كان ليعتقل أبداً. والمشكلة في العراق ليست هٰذه. فالمدهش في الأمر هو أننا نجد أنفسنا في بلد مدمر عملياً من جراء العقوبات

التي فرضت عليه طويلاً، حيث كان هناك طاغية، لٰكنَّ هٰذا الطاغية لم يعد هناك، حيث لا يوجد دعم عالمي لأيِّ نوع من المقاومة للاحتلال الأمريكي وتسيطر الولايات المتحدة على جميع الموارد الطبيعية، وقد أجبرت مجلس الحكم العراقي على قبول برنامج اقتصادي يبيع العراق للرأسمال الأجنبي، وحيث تستطيع الولايات المتحدة إنفاق الأرصدة التي تريدها على حملتها العسكرية.

وذٰلكَ يبدو احتلالاً سهلاً إلى أقصى حد. ويتطلب عبقريَّة غير عادية لإفشاله. ومع ذٰلكَ، فلقد فشلت الولايات المتحدة حَتَّى الآن. والألمان كانوا أفضل بكثير في السيطرة على أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث شكلوا حكومات محلية، مثل حكومة **فيشي**، مع قوات أمنية محلية .لكنهم كانوا وراء هذه الحكومات بشكل جلي. وروسيا فعلت الشيء نفسه مع بلدان أوروبا الشرقية، حيث وضع دمى محلية في تلك الدول، ووقفوا خلفها. ولقد حدث كلُّ هٰذا في ظروفٍ أشد قسوةً إلى أقصى حدٍّ مما وجده الأمريكيون في العراق.

ما هو مرد هذا الفشل؟

. لقد تحدثت حول ذٰلكَ تماماً مع مسئولٍ رفيعٍ في إحدى المنظمات الرئيسية للمساعدة الإنسانية، والذي لا أستطيع ذكر اسمه، طبعاً. وهو رجل ذو خبرةٍ هائلةٍ على امتداد العالم كلِّه وشاهد كل شيء. وكان عائداً من بغداد بعد قضاء بضعة أشهر هناك، وكانت تسيطر عليه مشاعر الاستنكار والدهشة. وقال لي إنه لم ير أبداً تركيباً مماثلاً للعجرفة والجهل وعدم الكفاءة كالذي يجسده الاحتلال الأمريكي في العراق. ورُبَّما كان على حق. فالعجرفة القصوى وعدم الكفاءة التامَّة والجهل المطلق هي ميزات الاحتلال في العراق، ذٰلكَ أنَّهُ إذا كانت

للمرء قوة مثل قوة الولايات المتحدة، فلماذا يقلق حيال هٰذه الصغائر؟ وعملياً فإن الأمريكيين يستطيعون استخدام القوة الوحشية كما يحلو لهم، لكني أشك في أنهم سيتمكنون فعلياً من السيطرة على العراق يوماً ما، مهما كلف ذٰلكَ.

ما هي وجهة نظرك حول صدام؟

. **صدام** هو مسخ كانت تتعين محاكمته منذ زمن بعيد، لكن في هذه المحاكمة ذاتها وإلى جانبه يتعين أن يقف أيضاً كل مسئولي الحكومة الأمريكية. فهم الذين دعموا **صدام** عندما ارتكب أسوأ فظاعاته وواصلوا إمداده بالأسلحة. وهٰذا لا يمت بأية صلة للحرب ضد إيران. أتحدث هنا عن السنوات اللاحقة لها حين دعمت الولايات المتحدة الطاغية عندما سحق تمرد عام ١٩٩١م، الذي كان بإمكانه أن يهزم **صدام**.

وعندما التقى **بوش وبلير وأزنار** في القاعدة العسكرية الأمريكية في الأزو وأعلنوا الحرب، قالوا بوضوح لا لبس فيه إنه حَتَّى لو ترك **صدام** وشركاؤه البلاد، فإنهم كانوا سيدخلون العراق بقواتهم. وهٰذا يثبت كم كان قليل الأهمية اعتقال **صدام** من وجهة نظرهم. والشيء الوحيد الذي اهتموا به كان التأكد من أن العراق سيبقى كدولة تابعة ومنقادة للولايات المتحدة، وأن يقبل ببرنامج ليبرالي جديد متطرف يترك كل موارد العراق بَيْنَ يدي الشركات الأجنبية.

النفط بقي للعراقيين؟

. إنه الاستثناء الوحيد، لكن اعطه بعض الوقت وسيكون بيد الأمريكيين. والخطوة المقبلة التي تم الإعلان عنها ولا ينقصها سوى التنفيذ، هي اتفاق (على الرَّغْمِ من أن كلمة اتفاق تعتبر شيئاً غريباً بالنسبة لمعاهدة أحادية الجانب إلى

هٰذا الحد) يضمن أنَّ الحكومة الوحيدة التي ستوافق عليها الولايات المتحدة في العراق ستكون حكومة تسمح لها بالبقاء هناك مع قواعد عسكرية.

كيف يؤثر ذلك في بقية العالم؟

. بشكل مباشر جداً. بما أن مجريات الأحداث كانت بهٰذه الدرجة من السوء بالنسبة للولايات المتحدة، فإن ذٰلكَ سيمنع واشنطن من أن تتقدم بالخطوة التالية. ما هي هٰذه الخطوة؟ إنها منطقة الانديز، من فنزويلا حَتَّى حدود الأرجنتين. فلقد كان هٰذا أحد أهم المشاهد التي كانت تجري عملية تقويم له على قدم وساق، حيث مثلت كولومبيا فيه هدفاً واضحاً للتدخل الأمريكي المسلح. لٰكنَّ هٰذا المشروع تراجع خطوة إلى الوراء، وحوّله الفشل في العراق إلى مغامرة باهظة الثمن، وأوجد معارضة واسعة للتدخلات الدولية المسلحة، على الرَّغْمِ من أنَّهُ لن يكون نهايتها بأي حال من الأحوال.

لماذا؟

. الأمر بسيط للغاية. يجب أن نتذكر أن الولايات المتحدة لم تعد القوة الاقتصادية الوحيدة في العالم. فهناك ثلاث كتل أخرى مساوية لها تقريباً، واحدى هذه الكتل مكونة من بلدان أمريكا الشمالية جميعها. والأخرى هي أوروبا على ألا ننسى كتلة شمال شرق آسيا التي تعتبر بوضوح الكتلة الأكثر ديناميكية، والتي من الممكن أن تتحول سريعاً الى مركز الاقتصاد العالمي. مع الأخذ بعين النظر أن الولايات المتحدة لا تسيطر اليوم إلا على بعد واحد هو القوة العسكرية، وأن الحكومة الأمريكية تتصرف لصالح الأغنياء بشكل فاحش فقط، حيث المثال الأكثر وضوحاً يتمثل في كيفية قيامها بالقضاء على جميع

الإنجازات التقدمية في القرن الأخير لتدخل السعادة الى قلب الأغنياء. فها نحن نجدهم يلغون، على سبيل المثال، الضرائب التقدمية ويقتطعون الأرصدة المخصصة للتعليم والصحة والضمان الاجتماعي للناس الأكثر فقراً.

لهذا عام انتخابي في الولايات المتحدة، هل تعتقد أن هناك إمكانية لحدوث تغييرات؟

. يبدو لي أن احتمالية حدوث ذَلكَ ضئيلة جداً والسبب هو أن الانتخابات في الولايات المتحدة تباع وتشترى، حيث كل شيء لا يعدو كونه استعراضاً يقدم للجمهور، لكن لم يتبق شيء من الثقافة الديمقراطية عملياً، فالمرشحون الذين يمثلون الناس العاديين بشكل حقيقي لا يستطيعون أن يحلموا بالمنافسة، بحيث لا يمكن أبداً أن يحدث ما حدث في البرازيل، حيث فاز مرشح شعبي على الرَّغْمِ من معارضة دوائر الرأسمال المركز ووسائل الإعلام. وكي تأخذ فكرة عن مدى سيطرة الشركات الكبرى على السياسة الداخلية والرأي العام، فكر فيما كان الانجاز التشريعي في الأسابيع الأخيرة وقوانين خدمة المساعدة الطبية «ميدكير» التي يقولون إنها تزود كبار السن بالأدوية.

الآن إذا نظر المرء بتمهل إِلَى التشريع الجديد، فإنه يدرك على الفور أن الناس العاديين لن يحصلوا على شيء منه، لا بل إنَّ النظام باهظ الكلفة. أمَّا المستفيدون الوحيدون فهم أصحاب شركات الأدوية. وأمثلة مثل هٰذه موجودة بكثرة. وهٰذا يشير إلى أنَّ انتخابات في هٰذه الظروف لا معنى لها، وحَتَّى يتبدل هٰذا الوضع فإنها لن تكون أكثر من مزحة.

بعد ١١ سبتمبر قارنت عمل بن لادن مع عمل الولايات المتحدة في باقي العالم، والكثيرون فسروا ذلكَ بأنك تلمح إلى أن أمريكا «كانت تسعى لذلك العمل»... هل هٰذا صحيح؟

ـ لا طبعاً، ومن غير المعقول أن يكون قد فسر على هٰذا النحو، فالشيء الوحيد الذي قلته: هٰذه فظاعة مريعة، لٰكن لسوء الحظ إن عدد القتلى كان غير عاديٍّ. والشيء الوحيد غير العادي كان الوجهة التي صوبت لها الأسلحة. لٰكن إذا كان الأمر جريمة عندما يرتكب ضدنا، فهو كذٰلكَ أيضاً عندما نرتكبه نحن.

في مقابلة حديثة أجرتها معك صحيفة «نيويورك تايمز» سألوك عما إذا كنت ترغب بالذهاب للعيش في مكان آخر وأجبت ان الولايات المتحدة هي «أفضل بلد في العالم»... ترى هل تشعر بذلك حقاً؟

ـ المقابلة التي تشير اليها مثيرةٌ للاهتمام أيضاً، لأنها تقول الكثير حول الصحافة الأمريكية، ولأنها مقابلة لم تحدث على أرض الواقع، فلقد وجه اليَّ الصحافي الذي أجراها سلسلة من الأسئلة الحمقاء بالكامل، ورحت أشرح له بالتفصيل الممل طوال ساعة ونصف الساعة لماذا ما كنت لأرد على كل واحد من تلك الأسئلة. لٰكنَّ ما فعله الناشر لاحقاً هو استخراج جملة واحدة من كلٍّ توضيح قدمته ووضعها كجواب.

لكن هل رغبت بالعيش خارج الولايات المتحدة في وقت ما؟

. لا... لماذا أفعل ذَلكَ؟ إنها بلادي، أما إذا عشت في بلد آخر فسيكون من واجبي انتقاد الأشياء التي لا تروق لي هناك. والولايات المتحدة هي ناسها وثقافتها وليس فقط سياستها الخارجية. لدينا أشياء رائعة جداً، وأفضل مما هو موجود في بقية العالم، حقوق وضمانات دستورية كانت ثمرة سنوات طويلة من العمل والنضال، وأنا لا أنسى ذَلكَ، كما أنني لا أستطيع العيش في ظل نظام استبدادي.

٢٢ أغرب التدخلات الخارجية

الحديث في التدخل الأمريكي بالآخرين عسكريًّا أمر ذو شؤون وشجون. التدخلات الأمريكية تحديداً لها خصوصية دون تدخلات دول العالم الأخرى، ليس في العصر الحديث بل رُبَّما عبر التاريخ. خصوصيتها تنبع من أمرين على الأقل أولهما أن الولايات المتحدة أعلنت منذ نشاتها واستقلالها أنَّها دولة حيادية لا علاقة لها بالعالم القديم، نسبة إلى أمريكا العالم الجديد. وثانيهما طبيعة التدخلات ذاتها وذرائعها. وفوق ذَلكَ فإنه على الرَّغْمِ من أن معظم التدخلات الأمريكية تبدأ وتتوَّج سريعاً بانتصارات ساحقة غالباً إلا أنَّها غالباً أيضاً ما تنتهي بالخزي والعار لأمريكا، وكثير منها انتهى بهزيمة أو انسحاب ذليل. هٰذا أمر عادي على أي حال، الحروب سجال.

في عام ١٨٢٣م أطلق الرئيس الأمريكي **جيمس مونرو**[٤٠] أمام الكونجرس إعلانه الشهير الذي سمي مبدأ **مونرو** الذي ينص على «ضرورة عدم مدِّ الدول الأوروبية نفوذها الاستعماري نحو أميركا. وعلى التزام الولايات المتحدة من جانبها بعدم التدخل في المشكلات أو العلاقات الأوروبية». لكم عالمكم، ولنا عالمنا.

هٰذا المبدأ يشبه سياسة الحياد التي التزمتها الدول الاسكندنافية وحافظت عليها. أي المحافظة على مثل هٰذه السياسة ليست أمراً مستحيلاً لو أراد الأمريكيون ذٰلكَ. ولٰكن أن يكون لهم أي طموح من أي نوع على الساحة العالمية فهٰذا سيجعل المحافظة على هٰذا المبدأ أكثر من صعبة. ولم يستطع الأمريكيون إخفاء طموحاتهم ولا التغلب عليها، ولذٰلك كان التدخل أمراً لا مناص منه.

لم يخرق الساسة الأمريكيون هٰذا المبدأ، والتدخلات التي حدثت قبل الحرب العالمية الأولى كلها كانت في فضائها الخاص. بل حَتَّى في الحرب العالمية الأولى لم يكن التدخل بما يستحق أن يسمى خرقاً لمبدأ **مونرو**، فقد تبنى الرئيس **وودرو ويلسون**[٤١] الدعوة الى الحرب واستخدام القوة العسكرية، ولٰكنَّ ذٰلكَ لم يحدث حَتَّى جاءت الحرب العالمية الثانية ووجد حينها الرئيس الأمريكي

---

(٤٠) . جيمس مونرو خامس رؤساء الولايات المتحدة استلم الرئاسة من بَيْنَ ٤ آذار/ مارس ١٨١٧م و٤ آذار/ مارس ١٨٢٥م. ولد في ٢٨ نيسان/ أبريل ١٧٥٨م، وتوفي في ٤ تموز/ يوليو ١٨٣١م.

(٤١) . وودرو ويلسون الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من ٤ آذار/ مارس ١٩١٣م إلى ٤ آذار/ مارس ١٩٢١م. ولد في ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٥٦م، وتوفي في ٣ شباط/ فبراير ١٩٢٢٤م. حاز على جائزة نوبل للسلام.

فرانكلين روزفلت[٤٢] ضرورة كسر لهذا المبدأ وإدخال الولايات المتحدة ساحة الحدث الدولي، ولتكون من ثمَّ محور السياسة العالمية منذ ذَلكَ الحين. ومنذ ذَلكَ الحين وهي تخترع في كل مرحلة عنواناً لتدخلها من الدفاع عن الديمقراطية، إلى نشر الديمقراطية، إلى محاربة الخطر الشيوعي، فمحاربة الشر، ومحاربة الإرهاب... وغير ذَلكَ كثير.

الحديث في التَّفاصيل طويل. ولن نطيل فلهذا مكانه الخاص. سنقف عند قائمة بالتدخلات الأمريكيَّة معتمدين أساساً في ذَلكَ على القائمة التي أعدها **زولتان چروسمان** عن التدخلات العسكرية الأميركية طيلة المئة عام المنصرمة. وهي منشورة في كتاب: لماذا يكره العالم أميركا؟[٤٣].

١٨٩٠م، داكوتا الجنوبية قوات أرضية قتل ٣٠٠ هندي الأكوتاس في واندو ودكني.

١٨٩٠م، الأرجنتين قوات أرضية من أجل حماية المصالح الأمريكية في بونيس آيرس.

١٨٩١م، تشيلي قوات أرضية تدخل في مواجهة مع المتمردين المحليين.

١٨٩١م، هايتي، قوات أرضية تقمع ثورة العمال السود في جزيرة ناقاسا من قبل الولايات المتحدة.

---

(٤٢) . فرانكلين ديلانو روزفلت الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية. منصب حاكم على ولاية نيويورك ما بين ١ كانون الثاني/ يناير من سنة ١٩٢٩ إلى ٣١ كانون الأول من سنة ١٩٣٢م. وشغل منصب رئيس الولايات المتحدة ما بَيْنَ ٤ آذار/ مارس ١٩٣٣م، و٤ آذار/ مارس ١٩٤٥م. وهو من مواليد ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٨٨٢م، وتوفي في ١٢ نيسان/ أبريل ١٩٤٥م.

(٤٣) . ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز: لماذا يكره العالم أمريكا؟ . ترجمة معين الإمام . مكتبة العبيكان . ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٨٩٢م، أيدهو، الجيش يقمع المضربين في مناجم الفضة.

١٨٩٣م، هاواي، قوات البحرية والقوات الأرضية تضم المملكة المستقلة.

١٨٩٤م، شيكاغ، قوات على الأرض تقمع المضربين في سكك الحديد وتردي ٣٤٠ قتيلاً.

١٨٩٤م –١٨٩٥م، نيكارغوا، قوات أرضية تقوم باحتلال بلوفيلد لشهر.

١٨٩٤م–١٨٩٥م، الصين، القوات البحرية وقوات أرضية وقوات المارينز.

١٨٩٤م–١٨٩٦م، كوريا، تدخل قوات أرضية بسبب توقيف لقوات مارينز في سيول أثناء النزاع.

١٨٩٥م، بنما، قوات أرضية وقوات بحرية ودخول المارينز إلى الريف الكولومبي.

١٨٩٦م، نيكارچوا، قوات أرضية ودخول قوات المارينز إلى مرفأ كورينتو.

١٨٩٨م –١٩٠٠م، قوات أرضية تحارب البوكسيرز.

١٨٩٨م–١٩٠٠م، الفلبين، قوات بحرية وقوات أرضية. الاستيلاء على الفيلبين، الممتلكات الأسبانية، ذهب ضيتها ٦٠٠ ألف قتيل فيلبيني.

١٨٩٨م –١٩٠٢م، كوبا، قوات بحرية وقوات أرضية. الاستيلاء على كوبا، ممتلكات إسبانية. صمود قاعدة بحرية.

١٨٩٨م، بورتوريكو، قوات بحرية وقوات أرضية. الاستيلاء على بورتوركيو، ممتلكات إسبانية، استمرار الاحتلال.

١٨٩٨م، غوام، قوات بحرية وقوات أرضية. الاستيلاء على غوام. ممتلكات إسبانية. ماتزال مستعملة كقاعدة.

١٨٩٨م، مينيزوتا، الجيش الأمريكي يواجه هنود الشيبيواس في ليبش لايك.

١٨٩٨م، نياكاراچو، دخول قوات المارينز إلى مرفأ سان خوان ديل سور.

١٨٩٩م-١٩٠١م، أيداهو، الجيش الأمريكي يحتل منجم كوردالين.

١٩٠١م، أوكلاهوما، قوات الجيش الأمريكي تقمع ثورة هنود الكريكس.

١٩٠١م-١٩٠٤م، بنما، قوات بحرية وقوات أرضية تتدخل وتفصل بنما عن كولومبيا في عام ١٩٠٣م، وتضم منطقة القناة عام ١٩١٤م إلى أمريكا إلى غاية عام١٩٩١م.

١٩٠٣م، هندوراس، تدخل المارينز وقوات أرضية في الثورة.

١٩٠٣م-١٩٠٤م، جمهورية الدومينيك، قوات أرضية تتدخل لحماية المصالح الأميركية المهددة من الثورة.

١٩٠٤م-١٩٠٥م، كوريا، دخول قوات المارينز وقوات أرضية في أثناء الحرب بين اليابان وروسيا.

١٩٠٦م-١٩٠٩م، كوبا، إنزال قوات المارينز ودخول قوات أرضية في الوقت الذي كانت البلاد تجري فيها انتخاباتها الديموقراطية.

١٩٠٧م، نيكاراغوا، قوات أرضية. نشوء بروتوكول دبلوماسية الولار.

١٩٠٧م، هوندوراس، إنزال قوات المارينز ودخول قوات أرضية في أثناء الحرب مع نيكاراچوا.

١٩٠٨م، بنما، تدخل قوات المارينز وكذلكَ قوات أرضية في أثناء مواجهات انتخابية.

١٩١٠م، نيكاراغوا، إنزال قوات المارينز ودخول قوات أرضية في بلوفيلدز وكورينتو.

١٩١١م، هوندوراس، تدخل قوات أرضية لحماية المصالح الأميركية المهددة من قبل الحرب الأهلية.

١٩١١م-١٩٤١م، الصين، قوات بحرية وقوات أرضية. احتلال دائم مع وقوع انفجارات قوية.

١٩١٢م، كوبا، - قوات أرضية تتدخل لحماية المصالح الأميركية في هافانا.

١٩١٢م، بنما، إنزال قوات المارينز ودخول قوات أرضية في أثناء الانتخابات.

١٩١٢م، هوندوارس، قوات أرضية وقوات المارينز تحمي المصالح الاقتصادية الأميركية.

١٩١٢م-١٩٣٣م- نيكاراچوا، قوات أرضية، قصف دائم. عشرون سنة من الاحتلال.

١٩١٣م، المكسيك، قوات بحرية. إخلاء القوات الأميركية في أثناء الثورة.

١٩١٤م، جمهورية الدمينيك، قوات بحرية. معارك إلى جانب الثوار للاستيلاء على السان دومينيك.

١٩١٤م، كولورادو، قوات أرضية، الجيش أوقف إضراب عمال المناجم.

١٩١٤م-١٩١٨م، المكسيك، قوات بحرية وقوات أرضية. سلسلة تدخلات ضد الوطنيين.

١٩١٤م-١٩٣٤م، هايتيي، قوات أرضية، قصف متواصل. تسعة عشر عاماً من الاحتلال تلت محاولات التمرد.

١٩١٦م-١٦٢٤م، جمهورية الدمينيك، قوات أرضية. ٨ سنوات من الاحتلال من قبل المارينز.

١٩١٧م-١٩٣٣م، كوبا، قوات أرضية. احتلال عسكري، خضوع لنظام الحماية الاقتصادية.

١٩١٧م-١٩١٨م، الحرب العالمية الأولى: قوات بحرية وقوات أرضية تدخل في معارك ضد ألمانيا.

١٩١٨م-١٩٢٢م، روسيا، قوات بحرية وقوات أرضية. خمس إنزالات بحرية لمحاربة البلشفيين.

١٩١٨م-١٩٢٠م، بنما، قواتأرضية. عمليات بوليسية تلت المشاكل التي أعقبت الانتخابات.

١٩١٩م، يوغوسلافيا، قوات أرضية وإنزال المارينز في رالماسي لمساعدة إيطاليا في مواجهتها مع صربيا.

١٩١٩م، هوندوراس، قوات أرضية وإنزال المارينز في أثناء الحملة الانتخابية.

١٩٢٠م، چواتيمالا، قوات أرضية. ١٥ يوم من التدخلات ضد الاتحاديين.

١٩٢٠م-١٩٢١م، فيرجينيا الغربية، قوات أرضية، قصف متواصل. الجيش يتدخل ضد عمال المناجم.

١٩٢٢م، تركيا، قوات أرضية. معارك ضد الوطنيين في سميرن (إزمير).

١٩٢٢م-١٩٢٧م، الصين، قوات بحرية وقوات أرضية. نشر القوات في أثناء الثورة الوطنية.

١٩٢٤م-١٩٢٥م، هوندوراس، قوات أرضية وإنزال المارينز مرتين في أثناء المعركة الانتخابية.

١٩٢٥م، بنما، قوات قمع الإضراب العام من قبل المارينز.

١٩٢٧م-١٩٣٤م، الصين، قوات أرضية وانتشار المارينز في جميع أنحاء البلاد.

١٩٣٢م، سلفادور، قوات بحرية. بعث معدات حربية في أثناء ثورة فابريانو مارتي.

١٩٣٢م، واشنطن، قوات أرضية. الجيش يضع حد لمظاهرة قدامى المحاربين في الحرب العالمية الأولى المطالبين بتعويضات مالية.

١٩٤١م-١٩٤٥م، الحرب العالمية الثانية(٤٤): قوات بحرية وقوات أرضية، قصف دائم، استخدام السلاح النووي لأول مرة في تاريخ البشرية... وصول الولايات الأمريكية إلى ذروة الوحشية. على الرَّغْمِ من هٰذا التاريخ السابق من التدخلات التي تبدي أن الولايات المتحدة لم تترك مكاناً إلا وتدخلت فيها في أمريكا وأوروبا وآسيا... ويبدو أن مبدأ **مونرو** لا قيمة له أبداً، إلا انه مع الحرب العالمية الثانية بدأ الوجود الأمريكي على الساحة العالمية يأخذ أبعاداً أخرى وطبيعة أخرى.

١٩٤٣م، ديترويت: قوات الجيش الأمريكي تقمع ثورة السود.

---

(٤٤) . حَتَّى تتدخل أمريكا في الحرب العالمية الثانية قامت باستدراج اليابان لما سمي بعملية ميناء برل هاربر. قيل إن العملية كانت مدبرة، وقيل إنَّ أمريكا أوقفت تصدير النفط والحديد إلى اليابان، فقامت اليابانية ضرب الأسطول الأميركي في بيرل هاربر. وعدت أمريكا ذَلكَ إعلان حرب عليها، ووقفت إلى جانب قوات الحلفاء، واستدت لنفسها بقصف اليابان بقنبلتين نوويتين أديتا إلى الاستسلام غير المشروط. وفي ٦ يونيو /حزيران ١٩٤٤ قامت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال الأميركي **دوايت أيزنهاور** الذي سيصبح فيما بعد رئيس الولايات المتحدة بإنزال النورماندي؛ أكبر إنزال عسكري في القرن العشرين، وتم تحرير المنطقة من الجيش الألماني. وفي هٰذه الأثناء كان رومل قد خسر معركة العلمين بمصر، وانهزمت القوات الألمانية في ستالين چراد، وبدأت نهاية المحور، ودخل الحلفاء ألمانيا في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٤م.

١٩٤٦م، إيران، تحذير نووي يدعو إلى وجوب انسحاب القوات السوفياتية من الشمال الإيراني.

١٩٤٦م، يوغوسلافيا، قوات بحرية، استنفار أميركي بعد إنزال طائرة أميركية.

١٩٤٧م، أوروغواي، تهديد نووي ونشر القوات المسلحة للتخويف.

١٩٤٧م- ١٩٤٩م، اليونان، الولايات المتحدة توجه اليمين المتشدد في أثناء الحرب الأهلية.

١٩٤٨م-١٩٤٩م، الصين، قوات أرضية وقوات المارينز تخلي المنطقة من الأميركيين قبل انتصار الشيوعيين.

١٩٤٨م، ألمانيا، تهديد نووي. مسلحون أميركيون ذوو تجهيزات نووية يحمون الجسر الجوي في برلين.

١٩٤٨م-١٩٥٤م، الفليبين، السى آي إي توجه المتمردين الهوكس.

١٩٥٠م، بوتكوريكو، قمع المتمردين الاستقلالين في بوتس.

١٩٥٠م-١٩٥٣م، كوريا، قوات أرضية وبحرية، قصف مع تهديد نووي. انسداد أفق الحوار بَيْنَ الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية من جهة، والصين وكوريا الشمالية من جهة ثانية. وصل الأمر إلى التهديد باللجوء للقنبلة (A) عام ١٩٥٠م. ولهذا التدخل هو الأمريكي الأول الذي كان تحت مظلة الأمم المتحدة[٤٥].

(٤٥) . في هذا التدخل تكرس وجود القواعد الأمريكية في كوريا الجنوبية، وكان التدخل تحت عنوان مواجهة المد الشيوعي. كلف هذا التدخل عدداً هائلاً من الضحايا بلغ أكثر من أربعة ملايين ما بَيْنَ قتيل وجريح ومفقود ما بَيْنَ مدنيٍّ وعسكري.

١٩٥٤م، إيران، السي آي إي تسقط الديموقراطية وتضع الشَّاه على رأس السُّلطة بعد الإطاحة بحكومة **مصدق** في إيران بتدبير من الاستخبارات الأميركية ذَلكَ أن سلطات الشاه تقلصت، وقام **مصدَّق** بتأميم البترول الإيراني.

١٩٥٤م، فيتنام، تهديد نووي واقتراح بتقديم قنابل للفرنسيين المحاصرين.

١٩٥٤م، چواتيمالا، قصف وتهديد نووي. السي آي إي ترأس عملية إنزال المنفيين بعد تأميم أراض تابعة لشركات أميركية من قبل الحكومة الجديدة. وفي الوقت ذاته نشر مسلحين في نيكاراچوا.

١٩٦٠م–١٩٧٥م، فيتنام، قوات أرضية وقوات بحرية، قصف وتهديد باستخدام النووي في ١٩٦٧م – ١٩٦٨م. معارك ضد الفيت–كونغ في الفيتنام الجنوبية وضد الفيتنام الشمالية. وهٰذه هي أطول الحروب الأمريكية، راح ضحيتها نحو مليوني قتيل فيتنامي، ونحو ثلاثة ملايين جريح، ونحو اثني عشر مليون لاجئ، أما خسائر الأمريكيين فكانت نحو سبعٍ وخمسين ألف قتيل، ونحو مئة وستين ألف جريح، ونحو ستمئة أسير. ولا يوجد مشردين بطبيعة الحال.

١٩٦١م، كوبا، محاولة إنزال المنفيين المعادين لكاسترو قادتها السي آي إي، ولٰكنَّهَا لم تنجح.

١٩٦١م، ألمانيا، تهديد نووي أدى إلى ذعر عالمي في أثناء أزمة جدار برلين.

١٩٦١م، نيكارچوا، التدخل في نيكاراچوا بسبب محاولتها انتهاج سياسة مستقلَّة عن طريق مساعدة قوات الكونترا المناوئة للسياسة الأمريكيَّة. انتهى التدخلبإسقاط حكومة الساندنيستا.

١٩٦١ – ١٩٦٢م، كوبا: قامت الولايات المتحدة بتدريب كوبيين في المنفى، قادتهم في غزو فاشل لكوبا بعملية خليج الخنازير، وفرضت الولايات المتحدة خلالها سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا عام ١٩٦٢ عبر حصار بحري لسفن الشحن السوفيتية. يقال إنه تمَّ تجنب الحرب مع السوفييت في اللحظة الأخيرة.

١٩٦٢م، لاچوس، تنامي النفوذ العسكري أثناء حرب العصابات.

١٩٥٦م، مصر، تهديد نووي وقوات أرضية وقوات المارينز. الطلب من السوفيات عدم التدخل في أزمة السويس.

١٩٥٨م، لبنان، قوات أرضية وقوات بحرية. قمع المارينز لثورة المتمردين.

١٩٥٨م، العراق، تهديد نووي وإنذار العراق بعدم اجتياح الكويت.

١٩٥٨م، الصين، تهديد نووي ومطالبة بعدم التحرك ضد تايوان.

١٩٥٨م، بنما، قوات أرضية. مظاهرات ضد رفع العلم تؤدي إلى مواجهات عنيفة.

١٩٦٤م، بنما، قوات أرضية. بنميون يفتحون النار لاسترجاع القناة.

١٩٦٥م، إندونيسيا، وصول **سوهارتو** إلى الحكم في إندونيسيا بعد انقلاب دموي شهد مصرع ما يقارب المليونين من الفلاحين الفقراء بدعم من المخابرات الأميركية.

١٩٦٥م–١٩٦٦م، جمهورية الدومينيك، قوات أرضية وإنزال لقوات المارينز في أثناء الحملة الانتخابية.

١٩٦٦م–١٩٦٧م، چواتيمالا، تدخل ضد المتمردين.

١٩٦٧م، ديترويت قوات أرضية ومواجهة بَيْنَ الجيش والواطنين السود راح ضحيتها ثلاثاً وأربعين قتيلاً.

١٩٦٨م، الولايات المتحدة، انتشار ٦١ ألف جندي في البلاد بعد اغتيال **مارتن لوثر كينغ**.

١٩٦٩م- ١٩٧٥م، كمبوديا، قوات أرضية وقوات بحرية، قصف. مليونا قتيل خلال ٦ سنوات من القصف، المجاعة والفوضى السياسية.

١٩٧٠م، عُمان، الولايات المتحدة تقود عملية إنزال القوات البرية الإيرانية.

١٩٧١م – ١٩٧٣م، لاچوس، عملية اجتياح أمريكية للفيتنام الجنوبي.

١٩٧٣م، داكوتا الجنوبية، الجيش يقود حصار لاكوتاس في واونديد كني.

١٩٧٣م، الشرق الأوسط، تهديد نووي. حذر عالمي في حرب ١٩٧٣م.

١٩٧٣م، تشيلي، السي آي إي تدعم انقلابا بقيادة الجنرال **أوغستو بينوشيه** ضد الرئيس **سلفادور الليندي** الماركسي المنتخب، انتهى بالإطاحة به ومقتله ومقتل الآلاف أيضاً.

١٩٧٥م، كامبوديا، قوات أرضية وقصف واستخدام غاز في تفتيش مركب بحري أدى إلى وقوع ٢٨ قتيلا في حادث هليكوبتر.

١٩٦٧م- ١٩٩٢م، أنغولا، السي آي إي تساعد المتمردين المدعومين من قبل إفريقيا الجنوبية.

١٩٨٠م، إيران، قوات أرضية وتهديد نووي بعد إخفاق محاولات القصف، ومحاولة لتحرير الرهائن في السفارة.

١٩٨١م-١٩٩٢م، السلفادور، قوات أرضية وإرسال مستشارين وتحليق جوي واشتباكات قصيرة بسبب الرهائن لدعم الحرب على المتمردين.

١٩٨١م-١٩٩٠م، نيكاراچوا، قوات بحرية والسي آي إي تدير عملية إنزال المبعدين المعاديين للثورة وتزرع ألغاما ضد قوات الثورة.

١٩٨٢م-١٩٨٤م، دخلت أمريكا إلى لبنان تزامناً مع الغزو الإسرائيلي، ولكن قام الاستشهادي أبو عصام باقتحام مبنى ببيروت يتمركز فيه المارينز الأمريكي بسيارة مفخخة، فتقل نحو مئتين وخمسين جندياً أمريكيًّا. ردت الولايات المتحدة على هٰذا الهجوم بغارة جوية على مواقع الجيش السوري في لبنان.

١٩٨٣م -١٩٨٩م، هوندواس، قوات أرضية تتدخل للمساعدة في بناء قواعد بالقرب من الحدود.

١٩٨٣م-١٩٨٤م، چرينادا، قوات أرضية، قصف، دخول الجزيرة بعد ٤ سنوات من الثورة.

١٩٨٤م، إيران، تحليق طيران، إسقاط طائرتين إيرانيتين في الخليج الفارسي.

١٩٨٦م، ليبيا، مهاجمة مدينتي طرابلس وبنغازي الليبيتين ردًّا على اتهامات أميركية سابقة موجهة لليبيا.

١٩٨٦م، بوليفيا، الجيش الأمريكي يساهم في الحملة ضد الكوكايين.

١٩٨٧م-١٩٨٨م، إيران، قوات بحرية، قصف. الولايات المتحدة تتدخل لصالح العراق خلال الحرب(٤٦).

١٩٨٩م، الجزر العذارى، قوات أرضية تتدخل في مشاكل مع السكان السود.

١٩٨٩من الفلبين، تحليق طيران أمريكي غطاءً جويًّا لحماية الحكومة من خطر الانقلابات.

١٩٨٩م – ١٩٩٠م، بنما: في كانون الأول ١٩٨٩م شنت الولايات المتحدة حربا على بنما من أجل الإطاحة بالرئيس البنمي **مانويل نورييجا** الذي استلم رئاسة بنما عام ١٩٨٣م. واستمرت الحرب حَتَّى استسلم نورييجا في ١٩٩٠/٢/٣م، وحوكم بتهمة الاتجار بالمخدرات والابتزاز وغسيل الأموال، وحكم بالسجن عشرين عاماً.

١٩٩٠م، ليبيريا، تدخل قوات أرضية لإخلاء المنطقة من السكان الأجانب.

١٩٩١ العراق/ الكويت، قيادة التحالف الدولي لما سمي حرب تحرير الكويت التي أطلق عليها الأمريكيون اسم عاصفة الصحراء. بدأ انتشار القوات الأمريكية من مختلف الأنواع في كل دول الخليج والأردن منذ ما بعد الغزو العراقي للكويت مباشرة في ٢ آب/ أوغسطت ١٩٩٠م(٤٧).

---

(٤٦) . من الصعوبة بمكان تصديق أن أمريكا تدخلت لصالح العراق، فأمريكا وإسرائيل هي التي كانت تمد إيران بالأسلحة، والفضيحة معروفة ومشتهرة تحت عنوان إيران چيت، وإنما يمكن فهم التدخل في سياق إعادة التوازن لاستمرار الحرب.

(٤٧) . بدأت عملية عاصفة الصحراء في ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١م، وانتهت في ٢٨ شباط فبراير ١٩٩١م. راح ضحيتها أكثر من مئتي ألف قتيل عراقي. وبموجبها تم فرض حظر جوي في الجنوب الشيعي والشمال الكردي، ووضع العراق تحت البند السابع، وبدأت عملية تجريده من السلاح خطوة خطة حَتَّى لم يبق عنده أي سلاح قبل العدوان والاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣م بشهر.

١٩٩٢م، لوس أنجلوس، قوات أرضية تستعين بالجيش والمارنز لقمع الفتنة ضد الشرطة.

١٩٩٢م-١٩٩٤م، الصومال، القرار أمريكي، والجيش أمريكي، ولَكنَّها سميت عملية الأمم المتحدة لإعادة الأمل. نشرت الولايات المتحدة قواتها للقضاء على الرئيس الصومالي محمد فرح عيديد، ولَكنَّهَا باءت بالإخفاق الذريع، فما إن وصلت صور الرؤوس المقطوعة إلى الأمريكين حَتَّى هرعوا للهروب من الصومال من دون انتظار، وقرر الرئيس الجديد بل كلينتون الانسحاب فوراً[٤٨].

١٩٩٢م-١٩٩٤م، يوغسلافيا، تدخل مباشر مع قوات حلف الناتو وتقسيم يوغسلافيا.

١٩٩٣م حملة عسكرية على العراق مع بدء استلام **بل كلينتون** السلطة.

١٩٩٣م-١٩٩٥م، البوسنة، طيران وقصف ومنطقة حظر جوي خلال الحرب الأهلية. إسقاط طائرات صربية وقصف على الضرب.

١٩٩٤م، هايتي: خلع الهايتيون رئيسهم جان بيرتراند أرستيد فقامت الولايات المتحدة بإرسال سفنٍ حربية تحت شعار الحفاظ على الديمقراطية.

١٩٩٤م- ١٩٩٥م، صربيا، قصف جوي أميركي للقوات الصربية.

١٩٩٦م حملة جديدة على العراق. يبدو أنَّها بداية اختبار قدرة العراق على الموجهة، إذ كما تؤكد التقارير أن احتلال العراق قد تقرر عام ١٩٩٦م.

(٤٨) . تدخلت أميركا في منطقة القرن الأفريقي بنحو ٢٨ ألف جندي. ولَكنَّ مقتل ثمانية عشر جنديًّا في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٣م ذبحاً أدى إلى انسحاب أميركا بداية عام ١٩٩٤م.

١٩٩٨م حملة جديدة على العراق، أربعة أيام من القصف المكثف المتواصل، رُبَّما كانت هي المعدة لاحتلال العراق التي خُطط لها عام ١٩٩٦م، ولٰكنَّ ردود الفعل الدولية أدت إلى إرجاء الاحتلال والاكتفاء بالحملة.

١٩٩٦م-١٩٩٧م، زائير (الكونغو)، قوات أرضية ودخول قوات المارينز إلى مخيمات اللاجئين الهوتسي في رواندا، في المنطقة التي بدأت فيها الثورة الكونغولية.

١٩٩٨م، أفغانستان، قصف أمريكي في آب/ أغسطس لعدد من المناطق الأفغانية.

١٩٩٨م، السودان، قصف منشآت طبية في السودان بزعم أنه مصنع إرهابي لتصنيع مادة النوروتوكسيك. ومدعية أن للسودان علاقة بتفجير سفارتي واشنطن في كينيا وتنزانيا. راح ضحية القصف أكثر من ٢٠٠ قتيل.

١٩٩٩م، صربيا، قصف القوات الأميركية صربيا في آذار/ مارس كي توافق على خطة السلام الدولية لإنهاء الحرب في كوسوفو، وانتهت الحملة بانسحاب القوات الصربية من كوسوفو والسماح لقوات حفظ السلام التابعة لحلف شمال الأطلسي بدخول الإقليم(٤٩).

(٤٩) . استمرت المجزرة الصربية بمسلمي البوسنا سنوات، كانت المجازر والوحشية أكبر وأفظع من أن تصدق... وأخيراً تدخلت أمريكا تدخلاً فيه جدية برفقة الناتو بعملية عسكرية تمثلت بغارات جوية أجبرت صربيا على وقف أنشطتها العسكرية في كوسوفو.

٢٠٠١م، أفغانستان، مثلما كانت تتهم القاعدة بأي عمل يستهدف المصالح الغربية، اتهمت القاعدة بالقيام بأحداث الحادي عشر من أيلول التي أثارت جنون الأمريكيين واستدرجت تعاطف دول العالم، فقامت الولايات المتحدة ومعها الأصدقاء المخلصون البريطانيون والألمان والفرنسيون... بأعداد محدودة باجتياح أفغانستان بعد قصف مريع، من أجل القضاء على الخلافة الإسلامية بزعامة حركة طالبان، وتدمير تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، واحتلال أفغانستان... وما زالت الحرب مستمرة

٢٠٠٣م، العراق، تشير بعد الدراسات إلى أن احتلال العراق ليست وليد مخ بوش الصغير، وإنما هو مخطط الإدارة الأمريكية منذ عام ١٩٩٦م على الأقل. ولكنَّ الرئيس الأمريكي بيل كلنتون لم يكن راضياً رُبَّما، أو لم يكن أهلاً لهذه المعركة، بينما كان **جورج بوش الصغير** هو الرجل المناسب. ولذلك دشن عهده بأحداث الحادي عشر من أيلول وبدء حروب الاحتلال الأمريكية بأفغانستان أولاً ثمَّ العراق. بدأت الحرب على العراق في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣م، وسقط النظام العراقي في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣م(٥٠).

تاريخ حافل بالتدخلات في كل حدب وصوب، بعذر أو من دون عذر، بعذر مليح أو قبيح. يجمعها كلها خيطان خيط المصالح الأمريكية وخيط الوقاحة

(٥٠) . صحيح أن احتلال العراق قرار أمريكية ورغبة أمريكية، ولٰكنَّ لا يمكننا أبداً إغفال الإصرار العربي على إسقاط صدام حسين، وكان لهم ذٰلكَ فعلاً.

في تفاهة العذر. وهٰذا على أي حال سلوك الإمبراطويات عبر التاريخ مع بعض التفاوت أو كثير التفاوت في التماس العذر أو السبب. نحن ندين هٰذه التدخلات ولٰكن يجب أن نفهم أنَّها منطقية بالنسبة لهم، فلو لو يفعلوا ذٰلكَ لتعرضت مصالحهم للخطر. ثَمَّة من سيقول بأن ذٰلكَ كان مجلبة لحقد العالم عليهم، وخاصة العالم الثالث. هٰذا طبيعي، ولٰكنَّهُم رُبَّما لم يجدو بديلاً خيراً من ذٰلكَ.

من كتب المؤلف المنشورة

- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.

- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- بشرية عمياء عوجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- تفجيرات أيلول وصراع الحضارات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العرب؛ جثة تنهشها الكلاب ؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.

- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأُصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.

فهرس

- **الإهداء** ٥
- **مقدمة الكتاب** ٧
- **الفصل الأول**: اعتراف الضحية بأنه الجاني ١١
- **الفصل الثاني**: أغرب الرجاءات في التاريخ ١٣
- **الفصل الثالث**: أغرب احتلال في التاريخ..... ١٧
- **الفصل الرابع**: أغرب تفاوض في التاريخ ٢٣
- **الفصل الخامس**: أغرب نحاربين في التاريخ..... ٢٩
- **الفصل السادس**: أغرب منقذين في التاريخ..... ٣٣
- **الفصل السابع**: أغرب عداء للتاريخ..... ٣٩
- **الفصل الثامن**: أغرب تمويل حرب في التاريخ..... ٤٣
- **الفصل التاسع**: في أغرب تمويل أيضاً..... ٤٩
- **الفصل العاشر**: أغرب جواب على اعتراض ٥٧
- **الفصل الحادي عشر**: قتل الشاهد..... ٦١
- **الفصل الثاني عشر**: اعترف بكذبك ولا تتراجع..... ٦٥
- **الفصل الثالث عشر**: أمريكا والتضليل الإعلامي..... ٧٣
- **الفصل الرابع عشر**: الإبادة عادة..... ٧٩

■ **الفصل الخامس عشر**: قتلت بيدي ٢٠٠عراقياً..... ٨٧
■ **الفصل السادس عشر**: جريمتها رفض الخيانة..... ٩٩
■ **الفصل السابع عشر**: تزوير قصة أسر صدام..... ١٠٧
■ **الفصل الثامن عشر**: لقاء صدام ورامسفليد..... ١١٤
■ **الفصل التاسع عشر**: اكذب وصدق كذبك..... ١٢٧
■ **الفصل العشرون**: لاغوش والتضليل الإعلامي..... ١٣٩
■ **الفصل الحادي والعشرون**: تشومسكي واحتلال العراق..... ١٤٧
■ **الفصل الثاني والعشرون**: أغرب التدخلات الخارجية..... ١٥٥
■ **صدر للمُؤَلف**..... ١٧٣
■ **المحتويات**..... ١٧٧

دار الفكر الفلسفي
دمشق 2008م

عزت السيد أحمد

ODDITY OF AMERICAN POLITICS

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

Published By

Dar Al- Feker Alphalsphy

Damascus.2008

Emil: mulhamezzat@gmail.com

ODDITY

OF AMERICAN POLITICS

POLITIACL PAPERS

BY

Ph.D. EZZAT ASSAYED AHMAD

عزت السيد أحمد